آمـــــون

أسطورة الشيطان العابد

آمـــــون

أسطورة الشيطان العابد

روايــة

د. تامر عطية

آمون أسطورة الشيطان العابد

اسم الكاتب: د. تامر عطية
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الثانية – يناير ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2150 / 2019

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

01030365801

جميع الحقوق محفوظة

إهداء

لكلِ أسطورته الخاصة .
إلى ولدي (عمّار)
أسطورتي الجميلة،
والخاصة جداً.

سقط..... ليُعيد الشرَ إليها من جديد.

لم تكن الأرضُ هي الأرض، رغم أنها اكتست برداءٍ يُشبه القديم، لكن نَسْجَ الطبيعةِ يأبى أن يتكرر .

كانت أكثر رحابةٍ وأشد وحشة، كانت تنتظره لكنها لم تتخيَّل أبدا أن يكون بمثل تلك الهيئة.

عَلِم مصيره منذ البدءِ، كان متأكداً أنه الطرف الآخر للمعادلة التي ستنطلق منها البدايةُ .

بدايةُ من يعتقدون أن الكونَ .....مخلوقٌ لأجلهم .

عاش رحلةَ الصعودِ من قبل، لكن سقطته كانت الأولى ويعلم تماماً أنها الأخيرة .

لم يتمالك نفسه من البكاء، رغم أنها كانت اختياره من دون أي إجبار.

لم تَزُل تلك الرجفة السارية في جسدِهِ حتي عندما لامس وجهَ الأرض تلك التي كان يحفظ كلَّ شبرٍ منها، ولا يعرفها.

تغيَّرَت كثيراً، إلا أنها مازالت تملك نفس الرائحةِ .

كانت جراحُها الأولى قد التأمَت وحلَّت جراحٌ أخرى، ربما تختلف عن سابقتِها، لكنها أبداً ليست رحيمةٌ.

نفَض بردَ السقوطِ عن جسدِه المنهك، ورغم أنه يلامس الأرض إلا أنه لم يستطع منع عينَه من الالتفاتِ إلى أعلى، إلى حيث ما لم يعد يراه .

راودته فكرةَ الرجوعِ والانحناء، لكن كِبْرَه لم يلبث أن غلبَه ثانيةً .

كان يعلم أنه أول من قاسَ، ولم يدرك أنه أيضاً كان أولَ من أخطأ في القياسِ .

تحامَلَ على نفسه ونهضَ، كان الكونُ يتابع ذلك الذي يحمل جمرَةَ البداية، عيونُ السُحْبِ، الرياحُ، الأشجارُوحتى الجبال.

كل الأشياء متأهبةً لتشهدَ بدايةَ.....النهاية .

دار في كلِ العيونِ المرتعدةِ حوله، اقترب من الماء لربما كان النهرُ أكثر رحمة، حين نظر في وجه الماءِ أدركَ فِعْلتَهُ وأدرك سرَ تلك النظرة المقيتة في عيون الأشياءِ من حولِه .

صرخَ، في وجه السماءِ صرخةً أجبرَت كلَ العيونِ على الانغلاق، من وقتها حتى النهاية.

تحسَّسَ وجهَه ثم التفت إلى جسده الذي انشغل بما حولَهُ عنه للحظات:

- لست أنا هذا المسخ .

أين وجهي ؟ أين أجنحتي ؟ أين جسدي ؟

فاض الماءُ على جانبيه وكأنه يلفظ صورته التي لوَّثَت صفحتَه.

نظر في الماء ثانيةً فلم يجد وجهَه، دارَ إلى السماء صارخاً :

- أقسم بكَ أنت يا من منحتني اللعنةَ الكاملةَ أن أجعلَ أكثر ما يؤذيك طينتك التي فضَّلتها عليَّ، طينتك التي مسختني لأجلِهِ . كان باستطاعتك أن تُجمِّله لكنك اخترت أن تشوهني ليبدو أجمل، بدأت انتقامَك سريعاً جداً، سرعة لا تتناسب مع الرحمة التي يتوقعها خلقُكَ .

أقسم أن أتخذ من شعر أقذر مخلوقاتك حجاباً لي .

- التفت إلى النهر-

- أمّا أنت أيها النهر فسأجعلك تفيض بالموتِ مرّةً كل عامٍ على كل مَن حولك حتى يكرهوكَ، ستحمل الموتَ قدْرَ ما تحمل الخيرَ.

قامَ وغزل من شعر الخنزير حجابَهُ، من وقتها لم يرَ وجهَه كائنٌ قطْ .

******

لم يكن مفهومُ الوحدةِ مألوفاً لديه لذا كادت تقتله - رغم أن الموت محرمٌ عليه -

ثارَ وأحرقَ واقتلعَ غابات، ارتجفت الأرض من تحت قدميه، بكت السحب بغزارةٍ حزناً على أرضِها المسكينةِ .

كانت قد نسيَت تلك القسوة التي خلَفَها الماضي، لكنها عادت أشدُّ وألعن مما سبَق، حتى هو لم يُدرك أنه يحمل كل ذلك الحقد على كل الأشياءِ

- ماذا جنيتُ؟ الوحدةَ ؟ كراهيةَ الأشياء؟ وجسداً أخشى مجرد النظر إليه؟ لماذا بدأتها ؟ ولماذا تركَني أبدأها ؟ ألم يكن في استطاعته أن يوقِف كل ذلك؟ إنه يريد أن يلهو، إذاً فليكن ما أرادَ، سأعيشُ إلى أن ينتهي الوقتُ وبعدها .....

توارد إلى مسامعهِ صوتٌ ينسَّلُ من بين الأشجار. صوتٌ يتجه ناحيته بحذرٍ، يحمل كل آيات الخوف والرهبة فى وجهه لكنه لا يحمل ملامحَ الحيوان . ظل يتقدم تجاهه، كأن شيئاً خفياً يقوده قصراً تجاه ما يخشاه .

يقترب، معالمه تتكشف رويداً رويداً .

نهض واقفاً فسكن الوجودُ، كان أول من استطاع الاقتراب بعد السقوط، وبعد لحظاتٍ من الصمت، عَلِمَ .....أنه ليس الوحيد فوق تلك الأرض .

******

كان الشكلُ الذي خرج من بين الأشجارِ يُذَكِّرَهُ بالماضي .

اعتقَدَ أن مَن مسخه قد أرسلَ إليه ماضيه ليضايقه، لكن الأشياءَ كثُرت وتعاظَم عددها . مئات، بل آلافٌ ممن كان على شاكلتِهم، قبل أن يسقط .

هل يمكن أن يُلعنَ كل هذا العدد ؟!! لماذا ؟

لكنهم مازالوا على هيئتهم الأولى .

تقدم أحدهم بترددٍ وخوفٍ شديدين.

- سيدي . رأينا قوتَك حين تغضب، لست مثلنا فالأرض لا تخشانا كما تخشاك، لابد أنك.....، أنت الله .

تأمَّلهم يسجدون من بعدِهِ متتابعين، علِمَ أنه أحد كبارهم الذي تحدث، فالملوك تفضحهم ملابسُهم، وهو ليس الملك .

- أنتَ الله .

كانت كلماتهم غريبة على مسامعِهِ، كيف له أن يكون لاعِنَهُ؟

ورغم أنه يكذِّب كلامهم، إلا أن إحساسَهُ بباب عزلته ينفتح ومكمن غروره ينتعش قد أسعدَه .

لم يتمنّ شيئاً من هذا، لكن سجدتَهم رفَعَت رأسَه إلى السماء، أراد الاعتراف بعدلِه فتذكر ملامحه الشوهاء، ودَّ لو يشكر لكن غرورَه أنطَقَهُ .

- لم أرَ يوماً خصماً يُكافيء غريمَهُ .

ربما أنها المرَّة الوحيدة التي لن أعارضك فيها .

لتكن البداية كما أردت، لكن النهاية ستكون كما أريد أنا .

******

لم يحلم أن يجد من يسجد له من دون عناءٍ، بل لم يكن يريدها في ذلك الوقت، يبدو أن خصمه يريد له الشعور بالحياة. وجود الآخرين من حولِنا يمنحنا الإحساسَ بها، وقد أراده حياً ليشعرَ بالنهايةِ، أو ليعذبه بها .

كانت تلك الكائنات قد أعادت الروحَ إلى جسده الممسوخ .

تبَعَ الرؤوسَ المطأطئة إلى حيث يستقر قصر ملكهم .

جال فى القصر بعينيه دون أي اهتمامٍ، فقد رأى ما لا يمكن لشىء آخر أن يبهره في السماءِ .

- سيدي وإلهي .

التفَت خلفه ليرى من هو بشاكِلَةِ الملوك يسجد له .

- من أنت؟

: عبدك المطيع (بعل) .

كنتُ ملكاً للجن الأزرقِ قبل أن تحط قدمُك على أرضكَ يا ملك الملوك .

- لست الله .

: رأيت ما فعلت سيدي ولا يقدر على مثلِه إلا من هو إلهٌ .

- أكره أن أكونهُ .

: فلتُسمي نفسك ما شئت، كلنا رهن إشارتك .

- (إبليس) هذا اسمي ولم أُعرف بسواه .

: مولاي (إبليس) .

- أذكر أشباهَكم، لكني لست متيقناً .

: نحن نصف مَن بقى على الأرض بعد الأسر الأعظم، سيدي .

نَفَتْنا الملائكةُ إلى الجحورِ والخرائبِ والجُزُرِ المَنْحيَّة .

مرَّت آلاف السنين إلى أن تحققت النبوءة .

- أى نبوءةٍ تلك ؟

: إلهٌ يحط فوق الأرضِ، يحمل النارَ في عينيه، تخافه الحياةُ ولا يهزمه الموتُ، حين يحط ترجف الأرض، تضع الحرب أوزارَها، يقف نزفُ الدماء وينتصر الأزرقُ بأمره .

- أنا ؟!!! أشكالكم تأخذني بعيداً. إنكم تُحيون جزءاً منسياً من الذاكرة عادت به الذاكرة حيث الطفولةِ . طفولته القديمة، إلى ذكري والدِه .

: (إبليس)... أرى في عينيك طولَ العمرِ، أراكَ حياً من دون نهايةٍ، حلمي أخبرني أني سأترك من بعدي من يستحق البقاء، فلتكن أنت الباقِ .

- إلى أين أنت ذاهبٌ يا والدي ؟

: إلى حيث يجب أن أذهب، ربما أعود، وقتها ستكون الأرض كلها ملكك .

- هل ستحاربهم؟

: لم تعد الأرض تتحمل أكثرَ من جنس واحدٍ .

تحسس أجنحته الأربعةَ وغاص في بحرِ عينيه الزرقاوتين .

: مهما حملَت الأيام لك يا ولدي فاعلم أنني.....أحبك .

ضاقت الأرض على صِنفيها الأحمر والأزرق. استُنفذت كل محاولات التواجد دون احتياج فناءَ الآخر؛ ولا جدوى، وجبَت الدماء حين التفت كلٌ من الجنسين لأصله وذكّاه على الآخر، كانت حرباً لا يمكن للتاريخ أن يعيدها، فقد كادت الأرض أن تهلك تماماً، لقاء المتعادلين عادةً هو الأقوي والأطول والأكثروحشية .

أبيدت مدن لم يكن أحد ليصدق فناءَها، أطفأها الماء وغاصت في قلب الأرض، كان لكلِ منهما القدرةُ على الرد فاستحال الوجود إلى ما يشبه الجحيم. لم يتوقف أيُ الفريقين حتي لم يعد لأحدهما – إذا ما انتصر- شيئاً يفوز به.

ملايين لا عدد لها انتهوا في محرقة الحرب، حتي التاج الذي بدأ لأجله كل شيء أكلته النارُ، استوتِ الجبالُ، تبخَّر الماء، وبات الزرع محض ماضٍ، حتي السُحْبِ ارتوت بالسواد فمات الصُبحُ، وغرقت الأرضُ في الظلام كأنها لم تُخلق بعد .

آلاف السنين، لم تضع الحرب أوزارها، (إبليس) يكبر على وجه الأرض تغطيه الدماءُ، حتى تلوَّن بالأحمرِ رغم أنه من الزُرق . آلافُ المبعوثين من السماء يحذِّرونهم غضبتها، لكن أنهارَ الدماء لم تتوقف للحظةٍ، بدا أنهم قد نسوها وعادوا إلى سيرتهم الهالكة إلى أن غضبت وفُتِحَت أبوابُها على مصراعيها .

ملايين من مبعوثي السماء بملابس الحرب يجمعهم هدفٌ واحدٌ - التطهير.

كان الأمر أعظم من أن يوصف، فغضْبة السماء أقوى من أي وصفٍ، وأجنحة مبعوثيها أحدُّ وأقسى من أن تصدها دروع الجن، تجرأ والد (إبليس) و أطلق سهمه الأخير نحو السماء، وقف كبير الملائكة غاضباً فوق الماء، رفرف بأجنحته فأهاج البحر وأغرق نصفَ الأرض فأهلكها. سجدوا صاغرين، أسرت الملائكة منهم من أسروا، وطردوا الباقين إلى خرائب الأرض وجزرها المنحية لتتطهر من رجسهم، لم تفرّق الملائكةُ بين الجنسين، فلم تكن تلك الحرب لحقٍ وباطلٍ، الكلُ أفسدَ في الأرضِ، الكل يستحق الفناءَ .

حين رأى والده غارقاً في دمه لم يجد فرصةً للصراخ، فقد كان ضِمن المُكبَّلين للصعود إلى المنفى العلوي، كان واحداً ممن أُسِروا في الأسر الأعظم .

استعاد واقعَهُ متأملاً (بعل)، الساجد أمامه .

- هل تعلم أنني كنت أقرب من أُسِروا إلى الله ؟

: سيدي.... كل ما أعلمه الآن هو أنك (إبليس) .

صاح بصوته الجهوري، المنبعث من أعماق الجحيم :

-أنا (إبليس). مَن لم يترك شبراً في السموات ولا الأراضي السبع، إلا وسجد فيها لله، والآن وبعد كل هذا أُلعَنُ ممن سجدت له بعددِ سجداتي؟ لأجل سجدةٍ واحدةٍ رفضتُ أنْ أسجدها لعنني، هل في ذلك عدلٌ ؟

كان صوت (إبليس) مرعباً، حتى أن الكلمات تَيَبَّست على شفاةِ (بعل) فخرجت متثاقلةً مرتعدةً .

: أنت العْدل سيدي .

بدأت الثورةُ في عيني (إبليس) تخفت:

- وأنت تُحسِنُ الكلام .

: عبدُك سيدي .

- ألا تعبدون الله ؟

: لم أرَه إلا فيك أنت .

- يبدو أنه نسى من خلقَهُمْ من قبل حتى نسوه. عموماً لا أحب أن أحمل اسمه، إنني عدوُّه الباقي حتى النهاية.

: أمرك سيدي لن أُحمِّلك اسمه .

- فقط (إبليس) .

: ملك الملوك (إبليس) .

ضحك لأول مرة منذ السقوط، كان يظن أنه لن يفعلها أبداً .

- هيا، يبدو أنني قد فاتني الكثيرُ، منذ أن صعدت وانشغلت بسجداتٍ ساذجةٍ لم تغفرلي؛ أن أجادله في واحدةٍ . هيا، أحبُ أن اعرف ما فاتني حتى لحظتنا .

******

بعد الأسر الأعظم هدأت الأرض، فهي بدون العاقلين في أمانٍ، بدأت تسترد عافيتَها شيئاً فشيئاً، لم يعُد عليها من يُعطِّل إنباتها، يردم أنهارَها، ويهدِّم جبالَها، مُنِحَت الطبيعةُ حريتها كاملةً، بدأت الدماءُ تجري في أوردتها، وعرف الهدوءُ طريقه إليها مرةً أخرى، حيث عاش كلُ من كُتِبَ عليه الفرار من الأسر الأعظم خائفاً، مزوياً في الجزر المنحيّةِ والخرائب، إلى أن تماسك(بعل)، وجرؤ على إخراجِ عينيه من جحره ليرى الشمسَ التي غابت طويلاً؛ تشتعلُ ثانيةً .

أخرج أذنيه، سمعَ صوت الطيور ينبت من جديدٍ، كان يعرف الأرضَ التي عاشَ عليها من قبل، حين واجهها كانت كل بقايا خوفه قد ذابت، فقط لأنه أمِنها .

تجرَّأ وخرج إلى النور، لم يبقَ من رائحة الدمِ شئٌ، وبقيت الرائحة التي عرفها من قبلُ، كأن الأرض اغتسلت وتطهّرَت، عادت إليها روحها ووجهُها الذي أحبّه قبل النهاية الأولى .

شعر بأن اللحظة قد حانت لتغمر أشعةُ الشمسِ جسدَ الأزرق مرةً أخرى . الأزرق السيد.

صعد إلى أعلى قمم الجبال مستجمعاً كل قواه في صرخةٍ:

- اخرجوا إلى النورِ .

مرّ وقتٌ ليس بالقليلِ ليفعلها البعضُ، فما حدث من قبل لم يكن لِيُنسى بسهولةٍ .

وفي النهايةِ زال الخوفُ، بدأت الأرض تحمل همَّ مَن عليها مِن جديد .

لم يكن هناك أي بديلٍ للسلام فالآخر لم يكن موجوداً إلى أن تجرّأ (خور) وواجه الأرضَ مرّةً أخري؛ هو ومَن بقي معه من الجن الأحمر.

نظر إلى الشمس ولوَّنها بلونِه، فعَلِمَ الوجود أنهم قد عادوا، كثرَ نسلُه إلى أن عاد ونادى بتاجِ أجدادِه، ذلك التاج الذي قتلَ الأرضَ ومَن عليها من قبل . مات السلامُ مع أولِ سهمٍ مسمومٍ في قلبِ ابن (بعل) الأكبر، كُتِب على طرفِه - الأرضُ للأحمر- .

من وقتِها والأرض تئنُ تحت وطأةِ الحربِ من جديد، تنتظر من يوقف أنهار الدم، أو أسراً يشبه الماضي.

******

ربما كان (إبليس) هو الوحيدُ الذي لا يؤمن بنبوءة الخلاصِ على يده الطافحة بالكراهية، لكنها تحققت.

حلَّ الهدوءُ واستكانت الحياة، بعد أن علَّق (إبليس) بيده رأسَ (خور) فوق أسوار القصر.

لم يصمد الأحمرُ لحظات في وجه مبعوث النار، حتى أن (إبليس) نفسه لم يكن يتوقع أن غضْبَتَهُ قويةٌ إلى مثل ذلك الحد .

لم يكن الجنُ أبداً من أعدائِه. إنه (ابن الطينِ)، رغم ذلك صبَّ جامَّ غضبه على فرقةٍ من بني جنسه، ليس حباً في الفريق الآخرِ ولا انتماءً له، فلم تعد فكرةُ الانتماءِ ذاتها تجولُ بخاطرهِ بعد أن كُتب عليه ما قد كُتب، ربما لأنه قابلهم أولاً فقط، ربما سجودُهم الذي أسعدَهُ وقتها، أو ليستكشف ما يحويه من قوةٍ وقسوةٍ، بداخل جسده الممسوخ. لابد من ضحايا ليعلم إلى أي مدى سيستطيع الاستمرار، كانت حربُه تشبه نزهةً، استمرأ فيها سحقَ الأحمرِ وحده، صبَّ نارَه فوق رؤسِهم فلم تُفلت منهم أحداً، سقطت آخر مدنهم وأكبرها في ليلة . لملَمَ السُحْبَ فوقها، أمرَها أن تمطر ثلجاً فانطفأت نارُكل من فيها، عدَلَ خصمه ومنحه أكثرَ مما كان يتوقع من القوةِ، لا لشيءٍ إلا أن

غريمهُ شديدُ القوى، تأكد أنه مُنح ناراً فوق ناره، ناراً أصلها الجحيم، وليست تلك التى خُلقَ منها، صار يتشكَّل في أي صورةٍ شاء، طيراً كان أو حيوان، حتى الإنسان من بعد، فصار الكونُ في مناله.

تركَ كلَ شيءٍ واتخذ لنفسِه عرشاً فوق إحدى الجزرِ المنحيَّةِ، لا يعلم مكانه إلا غريمُه، كان يعلم أنه ليس نداً ولن يكون، لكنه يدركُ أنه يستطيع إثارةَ غضبَه على أحبِ مخلوقاتِه وأقربهم لقلبه، أقسَمَ أن يكسر قلبَه ولو كلفه الأمر كل شر الدنيا .

بدأها عند الشجرةِ. شجرةُ التفاحِ التي أسقطت (ابن الطين) إلى أرضِه. لم يقاوم (ابنُ الطينِ) طويلاً، سقطَ إلى حيث ينتظره (إبليس) محمّلاً بكراهيةٍ أكبر من مسافة سقوطه؛ من السماء للأرض.

زاد نسلُ (ابن الطين)، فكان لابد ل(إبليس) أن يعود من عزلته التي عاشها فترةً،عاد حيث ولَّى (بعل) المُلكَ على أرض الجن.

رفع رأس (بعل) الساجدِ له بإصبعه

- أراك مستمتعاً بِتَفَرُّدك أيها الملك .

: سيدي أنت من وهبتَني المُلكَ وأنت القادرُ على نزعه مني .

- حان الوقت يا (بعل) لأُنشيء مملكتي الخاصة .

: كلنا مِلكك يا سيدي .

- لستم أهلاً لِتحملوا اسمي .

: أمرُك سيدي .

- احضر لي أجمل بناتك وأصباهن، سأختار منهن زوجةً تحمل أبنائي، أبدأُ مِن عندِها كلَ شيءٍ .

ثوانٍ معدودةٍ، اصطفَّت آلاف البناتِ في رقةِ الندي وبياض الثلجِ، نارهن نورٌ، ونورهن لا ينبغي إلا للحورِ، بأثوابهن الزرقاء الشفافةُ، تُبين ما لا

يمكن أن يوصفَ من مفاتن الجسد، وجوههن راكعةً من دون ركوعٍ، وأجنحتهن ساكنةٌ من دون قيدٍ، لكنه يبحث عن البدايةِ لا الحبَ الذي ماتَ ولم يتحمَّل رحلةَ السقوطِ معه .

- مَن منكن تستحق أن تحمل أبنائي ؟

تقدَّم منهن من تحررت من الخوفِ فكُنَّ تقريباً النصفَ .

- مَن منكن ستستغني عن العالم بي ؟

لم يتغلب البعضُ على الخوف فبقى أقل من النصف .

- من منكن ستحمل كراهيتي لكل الأشياء ؟

لم يبق إلا القليل منهن، فقد كان صوت (إبليس) يتشبَّع بالرعبِ في كل مرةٍ أكثر، وأكثر.

- من منكن ستتحمل غضْبتي ؟

بقيت واحدةٌ، تزيد في جمالها عن الصباحات المسكرة، أشار إليها بإصبعه أن تَقَدَّمي، تقدمت ببطءٍ مترددٍ .

- هل تعلمين من أكون ؟

لم ترفع عينيها من الأرض، أجابت بصوت خفيضٍ بدا ثابتاً لغير (إبليس) .

: أنت ملكُ الملوكِ .

- هل رأيتِ غضبتي ؟

: إن رأيتها فأنا أستحقها .

- ما اسمكِ ؟

: عبدتك المطيعةُ (ميركوفيس) .

نظر إلى (بعل) مبتسماً ابتسامةً لا تقلل من جحيم عينيه .

- كنت أعلم أنك تستحقها أيها ..... الملك .

******

شهق الوجودُ مع تحرر أول أبناء (إبليس) من رحم (ميركو)، وذلك في الليلة الأولى، حيث ينجب (إبليسُ) ابناً في كل يومٍ .

ارتسمت ابتسامةٌ راضيةٌ على وجهها، أضاءت الكونَ بحاله، لم تكن تتخيَّل أجمل مما تقع عينُها عليه لحظتها .

وقتها ودَّت لو أماطت اللثامَ من حول وجه (إبليس) وقبَّلته قبلةً: تُحَمِّلها كل ما يعتملُ بقلبها من سعادةٍ، لكن الجمرات الملتهبة في عيني (إبليس) حين رأى أول أبنائهِ أوقفت قلبَها عن النبضِ، لم تجروء أن تسأله إلى أين أنت ذاهبٌ بولدي؟ .

في الخلاء تأمَّل (إبليس) ابنَه الأولَ، رفعَهُ كاشفاً وجهه إلى السماء فبدا ملاكاً حقيقياً من دون مبالغاتٍ .

- أبقيتَ على نطفتي الجنيَّةَ رغم أنك مسختني . لماذا؟

هل تعايرني بما جعلتني عليه؟ تريدني أن أتذكرَكيف كنتُ وكيف صرتُ؟

لن أدعك تستمتع بألمي كلما أنجبت أطفالاً.

أقسم بك أنت، أنت ولا أحد غيرك، أن أمسخ أولادي وأخصبهم، سأُبقي على بناتي في صورهِن، سأتَّخذ منهن زوجات علي عكس إرادتِك، سأعيش ما قد كتبتَ عليّ من عمركما أريد، ولن أمنحكَ متعةَ إيلامي أبداً.....أبداً .

عندما ألقى بولده مرّة أخرى بين ذراعي (ميركو)، صرخَت صرخةً التصقت بالسماء، كادت أن تشقّها، الغريب أن (إبليس) لم يعلّق وغاب في الصمت، أخذت (ميركو) تنوح وتبكي إلى أن جفَّت عيناها، قبل أن يغادرها (إبليس) التفت إليها قائلاً ببرودة الجليد .

- سيكون اسمُه (سيرائيل) .

تجهَّزي، سوف تُمنحين آخرَ بعد يوم .

******

صمَدَ (ابن الطين) سنواتٍ وسنواتٍ، كثُر نسلُه، بذل (إبليس) كلَّ ما بوِسعه ولم يُقصِّر مطلقاً، بقى الرهان معلقٌ بين السماء والأرض .

كثُر نسل (إبليس)، كان ينجب من زوجته وبناته طفلاً من كلٍ، في كل يوم يدور عليهن جميعاً، فقد ملَكَ الوقتَ بأمر غريمه حتى صار يومُه بمئة ألف سنة أو يزيد .

أصبح (سيرائيل) هو مسؤل المَسلَخ الذي شيَّده (إبليس) بنفسِه، ليمسخَ أبنائَه الذكور، يخصيهم ويعيد نحت وجوههم من جديد .

مرَّ الوقتُ وصار عرشُ (إبليس) محاطاً بعددٍ لا يُحصى من أبنائه .

: مولاي (إبليس) .

- تكلم يا (سيرائيل) .

: زاد النسلُ ولم أعد أملك أسماءً أمنحها أبنائك، سيدي .

- جفَّ بئرُ الشرِ من الأسماءِ؟

: لم تعد هناك لفظةً واحدةً، تحمل الشرَ، لم أمنحها أحد أبنائِك .

- لا تمنحهم أسماءً بعد الآن إلى أن ينبت شرٌ جديد.

: سيظلون بلا أسماءٍ سيدي ؟

- الشياطين شياطين من دون تمييز. افعل ما آمُركَ به .

: أمرك مولاي .....لكن .....لكن.....

- هات ما عندَك . كم من أبنائي قد ماتوا في المسلخ ؟

: إنه يوم مشؤم سيدي . لم تنجَ إلا ابنة (ميركو) .

- ماتت الإناثُ أيضاً ؟!

: نعم سيدي، ماتت الإناث أيضاً . إنه يومٌ لم أشهد مثلَه من قبل.

- إنه يحرّم علىَ جِماع زوجاتي ليلة اكتمال القمر. ربما أراد أن يمنحها تلك الليلةَ وحدها .

ليكن. لقد منحني الكثيرَ فلا ضير من بعض الراحة، ليكن اسمها (ميروفيليس)، لابد أنَّها مختلفةً مادام قد أراد لها الحياةَ بينما لم يُردها للآخرين، اعتنِ بها جيداً يا (سيرائيل)، أشعر أنها تحمل رسالةً أريد أن أعرفها.

: مولاي.....

قالها وهو ينحني متراجعاً.

- اغرب عن وجهي، لم أعد أريد الكلام .

: أمرك سيدي .

******

مرّت سنواتٌ وسنوات من الصراع الهاديء بين (إبليس) و(ابن الطين)، تناصف فيها الفريقان النصرَ والهزيمةَ، كان الكونُ يسير إلى منتهاه دونما أحداثٍ كبري، حتى بدَتِ الحياةُ بلا طعمٍ ولا حكمة للوجود بتاتاً.

ولكن لكل هدوءٍ ثورةٌ غير محسوبةٍ، فالكون لا يعرف الثباتَ وإلا لبقى الفريقان بالسماء وانتهت .

(ميركو) أولى زوجات (إبليس) أصابها ما يصيب النساء طيناً كنَّ أو نار، أرسلت في طلب ابنها (سيرائيل) فجاءَها مسرعاً .

: (سيرائيل)...أمازلتَ مطيعاً لأمك ؟

= أنتِ الأولي من بعدَ أبي .

: وهل يرضيكَ ما يفعله أبوك بأمك ؟

= أمي .... لا أفهم شيئاً مما تقولين .

: إنَّ والدكَ يخونني.

ضحك (سيرائيل) بشدةٍ حتى بدا أنه لن يتوقف فاضطرت لمقاطعته:

: تضحك ؟

= أمي، إن (إبليس) هو من أوجَدَ معنى الخيانةِ وعلَّمه (أبناءَ الطين)، فهل تلومينه على الذي سقط لأجله ؟!!

: (إبليس) لم يعد يحبني كما كان . لم أعد الأولى يا ولدي .

= وهل يحب (إبليس) ؟!

: هذا ما كنت أظنه . أنه لا يحب .

= وما الجديد؟

: أصبح يفضِّل عليَّ أخرى، لدرجة أنه..... يحبُها .

= (إبليس) يُحب ؟!!

: نعم إنَّه ينسى كراهيتَه لكل شيءٍ، يتناسى ما هبط لأجلهِ حين يختلي بابنتي (ميروفيليس)، وجوده عندها يذكي نارَه وينسيه ما قد جُعَلَ لأجله .

= (ميرو) ؟

: نعم (سيرائيل) . (ميرو) التي أوجدتها أنا . (ميرو) التي أخذته من كل زوجاته حتى أنا، أصلُ كل شئ.

= أمي، إن ما في رأسك أفكاراً جنِّية، ليست من أصل الشيطانِ في شيء .

ربما تكون قريبةٌ له، لأنها الوحيدةُ التي خرج بها يوم مات كلُ أبنائِه؛ الذين أنجبهم ليلتها، لذا شعر أنها مختلفةٌ . أذكرُ ظنَّه وقتها، أنها تحمل رسالةً من غريمه أراد أن يعرفها . أعلم أن يومَ اكتمال القمرِ يكون كله لها، لكنه فهم الرسالةَ هكذا، أمَّا الحب ...فلا أعتقد أن صدرَ أبي يحوي قلباً يعذِّبه الحب .

: يومٌ كاملٌ، يتوقف فيه عن الحياة إلا معها، أنت لا تعلم كيف تشعر المرأةُ برجلها، وكيف تحترق الزوجةُ حين يفضِّل عليها أخرى، فما بالك إن

كانت قطعةً منها، يستغني عن الكل بالجزء !! ، أقسم أن اقتل نفسي إذا لم تُطِعْنِ يا (سيرائيل) .

= تقتلين نفسَكِ يا أمي؟!....ألهذا الحد يغضبكِ الأمر؟

: وأكثر. أنت لم تمتلك واحدةً، لترى النارَتشتعلُ بها، حين تحبَ غيرَها .

= أمي لا أتحمل ألمَكِ أبداً. مُرِيني تجديني طائعاً، إن كان هذا سيمحو ألمَكِ .

: متى تضع (ميرو) ابنها القادم ؟

= بعد غروبِ الشمس، عند اكتمالِ القمر. ولكن لماذا ؟

: اسمع ما أقولَه لك ولا تجادل . هذا.....إن كنتُ لا أزال امّك .

******

رغم أن ما طلبته (ميركو) لم يكن مألوفاً، بل ولم يكن مفهوماً، لكنه نفذه على أكْمَل وجهٍ، كان يعلم عِلمَ اليقين مصيره إنْ علم (إبليس) سرَهما . سيغمره في ماء (النيل) إلى أن تنطفيء نارُه دون أي رحمةٍ .

كان يقامر بشعلة اللهب في جسده، لكن لأجلِ (ميركو) أخذ ابنَ (ميرو) بعيداً عن عين أمِه و(إبليس)، لم يمسخهُ ليبقيه على صورتِه الجنية، بل وأخبرَ(إبليس) أنَّ ولدَ (ميرو) قد ماتَ في المسلخ .

لم يردعه ذلك الغضب الطافحُ من عيني (إبليس) الذي رآه لأول مرةٍ حين أخبرهُ بموت أحدُ أبنائِه، رغم أنها لم تكن الأولي لكنها كانت مختلفةً، ستتألم (ميرو) وذلك كل ما في الأمر.

كان يعلم أن هناك حدثاً فارقاً تُمَهِّد له (ميركو)، لكنه يحبها ويخشى أن تقتل نفسَها فقد بدت له في غاية الصدق، لكن أكثرَما أثارعُجْبَهُ أمرُأمهِ بألا يعلِّمهُ الكلامَ .

******

مرّت السنوات لا تأبه لأيٍ ممن تحملهم الأرضُ، فالوقتُ لا يرحم . ما يقرب من العشرين عاماً مضت كلمح البصر، حدث خلاله ما حدث .

ومرّةً أخري بعثَت (ميركو) في طلب (سيرائيل) فجاءَها .

: كيف حال ابن (ميرو)؟

= صار شاباً يافعاً .

هل تعلمين يا أمي ؟ لم أستطع منعَ نفسي من كراهية (إبليس) كلما نظرتُ إليه .

اكتمالُ البدرِ في وجهِه الناعم، ذلك السحر الذي سكبَتْهُ السماءُ في زُرقة عينيه، لهيبُ خِلْقته المستعرُ فوق شفتيه الحمراوتين، نسْجُ خصلات شعرهِ الذهبي، وكأنها تنبتُ من قرص الشمسٍ، ونحْتُ جسدِه الشديدُ الدقةِ والروعةِ .

كل ما فيه يُجبرني أن أكره مَن حرمني تلك الخِلقة الرائعة . حتى أنني سألتُ نفسي مِراراً لماذا يمسخُ أبنائَه ؟ إنه شيء بينَهُ وبين غريمه، فما ذنبُ أبنائه أن يحملوا إثم العداءِ المطلق بينهما ؟

بدَت أوصافُ ابن (ميرو) غيرذات قيمةٍ عند (ميركو) .

: لم تعلِّمه الكلامَ كما أمرتك ؟

= أبداً أمي . ولكن ماذا بعد ؟

: لقد حان الوقتُ يا بُني، اليوم يوم القمر.

= ما قصدُكِ ؟

: اذهب الآن إلي (ميرو) واسألها إن كانت توَدُ رؤيةَ أحد ابنائها شاباً في صورته الأولى، صورته الجنيَّة، أم لا.

= ماذا ؟!! أي شيءٍ تدبرينه يا (ميركو) ؟

لو علِم (إبليس) ستكون.....

: سأُعْلِمهُ أنا بنفسي .

= (ميركو).....

: اذهب يا (سيرائيل)، اذهب يا ولدي . لأجل أمك التي تموت كل يومٍ ألف مرّةٍ .

ربما أن (سيرائيل) كان قد اعتادَ عدم فهمهِ لأمه، لكن كل الدلالات تشيرُ إلى أنَّ القادمَ لا يحمل الخير أبداً ل(ميرو) وابنها، وربما له هو وأمِه، وقد تكون تلك اللمعةُ الحارقةُ في عيني (ميركو) هي أقوى الدلالاتِ .

******

- ليس كل ما يُقال حقيقة - يبدو أن (ميرو) كانت تحفظ تلك الجملة جيداً، لأنها لم تصدق كلمةً واحدةً من (سيرائيل)، ولم تزَل غير مصدِّقة حتي وهي تنتظرُ اكتمالَ القمر ليلتها؛ ليدخل عليها أحدُ أبنائها بعد أن اكتملت صورته الجنيَّه .

لم تكن علاقتها ب(سيرائيل) قويّةً، وأيضاً لم تكن سيِّئة، لكن قلبَها كان يغزوه إحساسٌ عجيبٌ من عدم الآمان .حين أطلَّ القمرُ دقَّ البابَ ودقّ قلبُها .

: ادخل .

انتصب أمام بابِها كملاكٍ هبطَ منَ السماءِ، أضاء عليها غرفتَها بل والكونَ من حولها، لم تستهلك وقتاً لتعلم أنه ابنَها من دون مسخٍ .

: ولدي؟

لم يفهم كلمتَها، ظهر عليه التعَجُّبُ الشديدُ .

: أنت ولدي . عرفتك بقلبي .

ارتمت عليه كأنها لم تلد إلاه، تقبّله وتضمه إليها في شوقٍ شديدٍ، أجلسَته إليها واحتوته بكل ما فيه .

: لمَ لا تتكلم يا بني ؟

أنا أمك . أمك التي ولدَتك . ألم يخبرك (سيرائيل) عنِّي ؟

لاحظَت (ميرو)، أن (سيرائيل) لم يدخل الحجرةَ، مع ولدِها .

: أين (سيرائيل) يا ولدي ؟ أريد أنْ أشكرَله صنيعَه الذي لن أنساهُ ما

******

انفتحَ الباب بقسوةٍ، خلعت قلبَها، ظهرَ (إبليسُ) واقفاً أمام الباب ليسدَّه في وجهِها .

حين وقع نظره عليهما، اشتعلت عيناه بقسوةٍ، لم تُشهد عليه مِن قبل، ربما كانت تشبه تلك التي واجَهَ الأرضَ بها، لحظةَ أنْ سقط . لكن، مَن شهَدَها وقتها ؟

من وراءِهِ ظهَرَ(سيرائيل)، الذي أغمضَ عينيه، و أمسكَ لسانه تماماً .

حاولت (ميرو) أن تنطق، لكن لسانَها احترق قبل أن ينطقَ بكلمةٍ وبإشارةٍ واحدةٍ من عين (إبليس) .

مرّت ثوان من الصمت الرهيبِ، نطقَ بعدَها (إبليس)

- هل تعلمين ؟ كنتُ على وشك أن أتغيَّر، كنتُ علي وشك أن .....أن أحبك .

التفت إلى (سيرائيل)، قائلاً بنبرة لا تحتمل إلا الطاعةِ .

- اغمرهما في ماء (النيل) من مشرقِ الشمس إلى أن تسقطَ في النهر، أريده حدثاً تشهده كلُ الشياطين ليعتبر من لا يعتبرُ، أريدها نهاية تشبه ثورتي.

حاولت (ميرو) أن تنطقَ، لكن صوتها كان قد ماتَ، مع لسانها المحترق، أشارت إلي (سيرائيل)، وإلى ولدها، الذي لا يعرف الكلام، بدت علامات غير مفهومة على وجه (سيرائيل)، علاماتٌ آسفة، و ربما ندم على خطأٍ لم يعلم

أنه سيجُر كل هذه الأحداث من ورائه، لم يكن ذلك قصدَهُ أبداً، و لم يتوقع أنَّ (ميركو) ترتبُ للأمر بهذه الكيفيةِ المخيفة، أن تقدمه كولد (ميرو) أمر، و كعشيقٍ أمر آخر تماماً .

أمّا (ميرو) فلم يبقَ لها إلا الدموع، ورجفةُ الخوفِ .

******

خلا الكونُ من أي مشهدٍ، عدا تلك البقعة، من نهر (النيل) . توقفت الدنيا كلُها، لتشهد الحدثَ العظيم، منتظرةً أن ينتهي، لتبدأ الحياة من جديد .

اصطفَّت مسوخُ الشياطين علي ضفَّتي النهر، و(ميرو)، و ولدها معلَّقان، من شعريهما إلي السماءِ، جسداهما يذوبان، في ماء النهر، شيئاً، فشيئاً، أمام الأعينِ المحدِّقة في جمودٍ .

صرخَت (ميروفيليس) قدر ما استطاعت، من دون لسانٍ، جاء صراخُها من أعمق أعماق روحها، وصرخت أكثر لألم ابنها، الذي يتلَوَّى إلي جانبها، والنهر يفور من حوليهما . كانتا عينا (ميرو) تحمل أكثرَ من الألم ، لو أنّ (إبليس) موجودٌ في المشهد، لعَلِمَ من عينيها الحقيقةَ كاملةً، لكنه لم يتحمَّل رؤيتَها تحترقُ . بالفعل لم يكن ليتحمَّل .

ظنَّ الجميع أن (إبليس) سوف يطيل اليوم، إلى ما لا نهايةٍ، إلا أنه منحها يوماً طبيعياً، لم يمد في ساعاته، فبرغم ثورته، إلا أن ألمه، كان لم يزل من ألمه، وهو لن يتحمل أكثر.

لم يدرك أيٌّ من الموجودين سر تلك الدمعات المترجرجة في عيني (سيرائيل)، إلي أن سقطت الشمسُ في الماءِ، وسقطَ الجسدان للأبد .

******

كان التباينُ واضحاً بين عيني (سيرائيل) وأمهِ . الدمعاتُ في عينيه وتلك النشوة الغامرة لديها، يوحيان بصِدام محققٍ وغير مفهومٍ .

(ميركو)، التي أحسَّت أنها أخيراً قد انفردت بمعشوقِها إلى الأبد، هى لن تسمح لأخرى حتى وإن كانت ابنتها أن تلهيه مرّةً أخرى عنها .

كانت تعلمُ تماماً أن العشقَ ليس منه في شيءٍ ولن يكون ، لكن أن يكره حبيبُها كلَ شيءٍ أفضلُ عندَها من أن يحب غيرَها . كانت تُدركُ أحقيتَها وأولويّتَها، إن كان للعشق منه نصيبٌ .

انتبهت إلي ولدِها الذي نسيَته فى غمرةِ سعادتِها .

: أرى عينيك تدمعان يا (سيرائيل) .

= هدأَت كل عذاباتكِ الآن يا (ميركو) ؟

: نعم يا ولدي . هدأَت .

= يمكنني أن أتناسى صرخات (ميرو) وولدها.....

ولكني لن أسامحكِ أبداً في صرخات أبي الذي كسرتِ قلبَه .

: ماذا تقول أيها العاق ؟ كيف أتتكَ الجرأةُ لتكلم أمَكَ هكذا ؟

(إبليس) يملك قلباً ؟! ألم يكن هو سؤالَك حين أخبرتكَ أنه يحب ؟

= لأول مرّةٍ أُدركُ أنه يملك واحداً، بل ويتألّم له .

كرهتكِ حين رأيتَ داخلَهُ يحترق أمامي حتى كادت ناره تخمد، كان شفاؤه فوق لساني، لكن لساني قيَّده الجبن، وكَوني جزء من فِعلتكِ الحمقاء.

كرهتكِ حين احترقت (ميرو) وولدها من دون ذنبٍ في ماء النهر، لا لشيءٍ سوى أن أبي أحبَها أكثر منكِ . لا أتعجب الآن حبه لها، فمن يملك زوجةً مثل (ميركو) بقلبِها المملوء كراهيةً، لابد وأن يحبَ غيرَها .

: قلبي المملوء كراهيةً؟! هل نسيت أني زوجةً للشيطان. أنا بداية وجودِكم أيها الأحمق، بدوني ما كان ل(إبليس) مملكةً. أنا نصف كراهية الكون، ولست أخجل أن أمتليء بها من أجل أبيك.

= أنتِ أكثر شيطانيَّةٍ منه نفسه. إنني أكرهكِ. حتى أنني كرهت كَوني شيطاناً، لأني عرفت معنى أن أكونه اليوم.....، اليوم فقط .

: كرهتَ أمك يا ولدي ؟

= لست ولدكِ .

إنني شيطانٌ لم يحمله ألمُ مَن حولِه على نطق الحقيقةَ .

الحقيقةَ التي ستموت رغماً عنّي وعنكِ . أتعلمين لماذا ؟

لأن (إبليس) لن يسامحنا إنْ علِمَها، لن يكفيه إطفاء نارَنا لألف عامٍ حتى ينسى ألمَه الذي رأيته في عينيهِ لأولِ مرّةٍ .

أنا ذاهب يا (ميركو) ولن أعود.....أبداً.

تركها لمشاعرها المتباينةِ بين النشوة والألم .

كانت تشعر من كلمات ابنها أنها فقدته إلى الأبد، لكن نشوتها باستعادة زوجَها وحبيبها الوحيد أنستها كلَ شيء، ولو مؤقتاً .

******

لم تكن عُزلةُ (إبليس) فقط هي كل ما نتجَ عن فِعْلَةِ (ميركو)، وإنما خسارتها ولدها الأول والأقرب الذي لم تشعر بها في حينها ، لكن مرُّ الساعاتِ جعلها تحس بأي مقتلٍ أصيبت فيه، فكانت نومتها الليلة مفزعةً .

خسرت (إبليس) في الماضي حين فضَّل (ميرو) على جميع زوجاتِه، والآن يبدو أنها تفقدهُ إلى الأبد، فلم يمُر (إبليس) على أيٍ من زوجاته ليلتها وكأنّه اعتزل النساء .

كانت تعلم أنها مسألةُ وقتٍ لا أكثر، لا يمكن لقلبِ (إبليس) أن يعطِّلهُ عن هدفه الأسمى الذي هبط لأجله؛ وأدخله في رهانٍ خاسرٍ منذ البدء . إن المحتوم لن تعطلْه غضبةٌ وإن بدت قوية، المحتوم محتومٌ من قبل أن تولد الغضبة .

لابد وأنه سيعود، لا يمكنه أن يوقفَ نسلَه بينما نسلُ (ابن الطين) لم يزل يغمرُ وجهَ الأرض .

******

اعتزلَ (إبليس) الحياةَ، فدبَّت الروح في الوجودِ، من جديد .

لم تظهر عليه أماراتُ العشق والوَلهِ من قبل، ولم تكن لِتجوز له، كان يعلم أن كل ما يجري بيد غريمه، فلماذا ؟ ربما لأنه مخلوقٌ، وأيُ مخلوقٍ يملك قلباً يُحيي ويُميتُ من العشق .

وربما كانت رسالةً من غريمهِ تُذَكِّرهُ أن لديه القدرةَ على الحب، فلِمَ لا تعود ؟ فلمَّا لم يعتبر عَذّبَه ببقايا قلبه الذي لم يُثنِهِ عن كِبْرِه .

نظر إلى أعلى .

- الآن مات آخرُ نبضٍ من قلبي .

والآن أعودُ، من دون أي عذاباتٍ، لم يعد هناك ما يؤلمني، ولم يعد هناك ما أُحب .

******

لا أدري سر ذلك النهر الذي يحملُ الحياةَ والموتَ، في قلبٍ واحدٍ .

رغم غضْبته التي تفيض علي كل مَن حوله، إلا أن هناك سراً ما يجبر كلَ مَن يراه على الالتصاقِ بجانبيهِ .

كانت لعنة (إبليس) التي منحها إياه حين لفَظَ وجهَه قد تحققَ نصفها؛ ومنعهُ غريمُه من النصف الآخر، ربما لأن (الله) يحب ذلك النهر فلم يمنع المصريين من حبِه .

قامت الحضارةُ (المصرية) بأسرها من حول ذلك النهر العظيم، كانوا يعتقدونَ فيه لدرجة أنهم يقدموا أجملَ بناتهم قرباناً له في يوم عيدهِ من كلِ عامٍ؛ حتي تهدأ ثورتُه التي بدأَها الشيطان .

كان يشقُ الأرضَ بطولها كأنه شريانٌ يحمل الدماءَ للجسدِ . شريانٌ واحدٌ وجسد ضخم، لكنه يكفي ليمنحه الحياةَ الكاملةَ، تلك الأحجار المصقولة بعنايةٍ، كأن الملائكةَ قد سوَّتها بأجنحتها قبل أن تقذفَ بها على جانبي النهر؛ من فوقِ السماءِ . كان شديدُ الجمالِ بقاعِه المظلم حتى ليظن من يغوصُ في صفحته بعينيهِ أنَّ الليلَ يسكن أسفلَهُ، ليلٌ غيركل ليلٍ بكلِ ما يحويهِ من أسرارٍ، ولو جفَّ ليكشف قلبَه للرائي لن تُعرف أياً من أسراره؛ المتناثرة بين الأسماكِ والتماسيحِ وأفراسِ النهر الطيبة .

رغم اللعنة التي أودعها (إبليس) النهرَ، لكن المصريين أبداً لم يكرهوه وإن غضب وأغرقَ .

على إحدى جانبيهِ، كانت تسكن صومعتَها، المصنوعةَ من البوصِ . (إيجى بتاح) .ربما كانت الوحيدةَ التي تختلفُ في عبادتِها عن كل أهلِ (مصرَ) .

تنظرُ دائماً إلى أعلى و تُطلق دعواتَها، رغم أن إلهَهم (فرعون) يسكن قصرَهُ المهيبَ .

كانت عابدةً للذي بدأ الأشياءَ كلَها، لم تكن قد رأته لكنها تعرفه جيداً . تعرف كل صفاتِه وكأنها تحيا معه، تعلم أنها مخلوقةٌ لتعبدَهُ هو من دون (الفراعين)، وتخشى على حياتِها بطشَ من لا يرحم ....

(فرعون) الأكبر. الذي قضى على أيِ عبادةٍ من دونه، ساعده في ذلك كبيرُ كهنته ليصبح هو الله .

لم يخب ربُّها ظنها به، فكان يرسلُ إليها رسولَه في منامِها، يُنبئها بما يُرضيه ويُبْلغُها رضاه .

كاد الفجر يُعلِن عن نفسِه، و(إيجى) غارقةٌ في عبادتِها مستغرقة في دعائها لم يقطع عزلتها سوى صوت بكاءٍ استغربهُ الوجودُ من حولِها؛ واستغربتهُ أذنيها .

: يا الله !!! أهذا الصوت حقيقيٌ ؟

عاد الصوتُ يعلنَ أنه حقيقةٌ بالقرب من صومعتِها المنعزلةِ عن الدنيا .

كان تأثيرُ الصوتِ عليها عجيباً، حتى أنها لم تتردد لحظةً في أن تخرجَ من صومعتها لتَتْبَع آثار الصوت .

لم تكن حذرةً رغم غرابةِ الموقفِ، وكان الصوتُ يأتي من الماء .

: هل ولَدَ النيلُ ابناً ؟

اقتربَت أكثر من الماء، أزاحت أعوادَ البوصِ لتكشف صفحتَه . كان الصوتُ يسعى إليها أكثر مما تسعى هي إليهِ، حين لاقَت المصدرَ صرخَت صرخةً ربما أهاجت الليلَ والماءَ سويا .

: يا إله الكون !!! ما أبشعها صورة .

كان جسدُ (ميرو) المحترقُ قد طفا فوق سطحِ الماءِ واستقر إلى جوارِ صومعتِها، كان أبشعَ من أنْ يوصف .

لقد أطفأ (النيلُ) جمالَها وأحالها إلى مسخٍ، لا يمكن لأيٍ كان إلا أن يصرخَ حين يقع عليه ناظريه، حتى أن (النيل) بدا متأففاً لحملِهِ إيَّاها فلفَظَه على الطمى الأحمر.

كانت (إيجي) قد حوَّلت عينيها بعيداً، لكن الصوتَ الباكي لم يزَل يناديها نطقَت بعد لحظاتٍ من إغماضِ عينيها :

من أين يأتي الصوتُ؟ لا يمكن لهذا المسخ أن يحملَ أية حياة . إنه الموتُ في أبشعِ صورِهِ .

كان الصوتُ يُصِرُعلى أنه آتٍ من قلبِ المسخ .

: يا إلهي إنه في المسخِ . كيف يمكن هذا؟

مدَّت يدَها المرتعدةَ إلي داخلِ الجسدِ المحترق، باعدَت ما بين اللحمِ المهترىء مغلقةً عينيها، فأُضِىءَ الكون بحالهِ، لدرجةِ أنها رأت النور بعينيها المغلقتين، حين فتحتهما لم تعد ترى المسخَ مطلقاً .

كان الضَىُ أشدَ من أن تحتمله عيناها فأغلقتهما للحظاتٍ حتى تستوعبه . عادت تفتحهما، ربما أنها تحلم لكن الحقيقةَ ثبتت في نظرِها .

خلَّصت ذلك الكائن النوراني من كتلة اللحم المنفرة، تأمَّلت كلَ ما فيه،عينيه الزرقاوتين، شعرِه المُذهب، ذلك الضي المنبعث من جبهته والذي يكاد يُنسيها مَقدِمَ الفجر.

بُهِرت حين لامسَت أجنحتَهُ الشفيفةَ، الرائقةَ كماءِ (النيل) . أربعة أجنحةٍ أرق من النسيم لا تُعكِّر منظر ما وراءها، حقق كل خيالاتها عن الملائكة وأكثر.

كان يُجبرها أن تضمَّه إليها، حين لامسَ صدرَها جَرَت دماءٌ جديدةٌ بقلبها، دماءٌ لا تعرف إلا الحبَ . صرخت السماءُ وهطلت الأمطارُ بغزارةٍ، سقطت نقطةٌ من ماء السحب على جبين ذلك الكائن النوراني فاحترقَ وصرخَ، جرَت به إلى صومعتها تقيه المطروتزود عنه أذاه الظاهر.

كانت تسمعُ صوتَ دقَّاتِ قلبِها حين أغلقت البابَ . بعد أن هدأت رجفتها تأمَّلت وجهَهُ، تلك العلامة التي خلفَها المطرُ على وجنته الرقيقةِ، ألقتهُ على الأرض شاهقةً :

أعوذ بالله من الشيطانِ.....أعوذ بالله من الشيطان.

كانت تعلمُ أن الملائكةَ مخلوقةٌ من النور، والنور لا يطفئه الماءُ، ليس مخلوقٌ من النارِ إلا..... لم تستطع نطقَها، كان الطفلُ يبكي ويتلوَّى على أرض الصومعة.

خُيِّلَ لها أن كلَ ما حدث محضُ خيالٍ، أغمضت عينيها لربما تخلَّصت من واقعِها المريب ، طالت فترةُ غلقِها لعينيها فراحت في نوبةِ نعاسٍ لم ترتِّب لها .

في نومِها جاءها الملاكُ الذي طالما آنسَ وحدَتها .رسول ربِها .

: مازلتِ خائفة ؟

: إنه .....إنه ليس ملك .

: أعلم أنه ليس بملَكٍ .

: هل هو .....؟

: كما يخبركِ قلبك تماماً .....هو ابن (إبليس) .

: ولماذا يفعل بي ربي هذا ؟ لم أقصِّر في عبادته لحظةً، هجرتُ الدنيا من أجله، والآن يعاقبني بابن الشيطان ؟

: ولمَ لا يكون يكافئكِ ؟

: كيف ؟

: أنتِ العابدةُ الوحيدةُ فوق هذه الأرض، وقد أرادَ اللهُ له أن يعرفَه. هل ستحرمين مخلوقاً أن يعرف ربَه وربَكِ ؟

: ولكنه.....

: اتخذيه ابناً .

: إبن؟!!

: اربطي أجنحتَه ولا تفلتيها أبداً، فإن نهايتَه تبدأ مع أولِ رفةٍ من جناحيه في عين الشمس .

: إنه.....

: اخبريه أنه ملَكٌ هاداكِ الله به لأنه يحبكِ .

اطعميه جمرات النارِ، عندما يكتمل جسده فلا طعام بعدها مطلقاً، احفظيه من الماء والمطرواجعليه عابداً .

أنتِ أمُه، إياكِ أن تنسي هذا . أمُه فقط و لا شيء آخر.

أسميه (آمون)، سيكون له شأنٌ عظيمٌ في دنياكِ وسيُخَلِّدهُ التاريخُ بذات الاسم، (آمون) .

نادته وهو يغادر.

: انتظر.

: لقد بدأت من عنده الحكايةُ، ولن تستطيعي إيقافها، فالله وحدهُ، مَن أرادَ لها أن تبدأ، فلا تكوني أنتِ نهايتَه .والآن استيقظى فالطفل يتضوَّرُ جوعاً

استردّت وعيَها، وكلماتُ الرسولِ، ترِن في أذنيها، وتمتزج ببكاء طفلها الجائع . اقتربَت منه بحذرٍ، غلبت خوفها وتحسسَت جسدَه، شعرت بِخِدْرٍ لذيذٍ يجتاحها، ارتاحت نفسُها وهدأَت، فحملَته إلى جوار النارِ وأطعمَته من جمراتِها في رفقٍ، حلَّت شريطَ شعرِها وربطَت به أجنحتَه الرقيقةَ، حين ابتسم في عينيها تجمَّلت لها الحياةُ .

: ربما تكونُ مكافأتي على هجراني الدنيا من أجلِ ربي .

سأتّخذك ابناً يا .....(آمون) .

******

استطاعَ منظرُ (ميرو) مُرتَميَةً في أحضانِ ابنها أن يقتلهما، حتى أن (ميركو) نفسها، لم تكن تتمنى أكثرَ من هذا، ربما كانت لترضى بأقلِ مما حدث بكثير.

كان ردُ فعلِ (إبليس) قد ألجمَ ألسنةَ وعقولَ الجميع، لم يفكِّر أحدٌ أنها تحمل في أحشائها ابناً أخيراً له ستنجبه قُرابة الفجر؛ كعادةِ كل يوم . كان الغضبُ يصب نارَه فوق كلِ شيءٍ، لم يبق من أي شيء ما يمكن تذكُّره، ولا حتى موعد الانجاب المعتاد .

كذب (سيرائيل) على سيده لأولِ مرةٍ كي ينجو وأمه . لولا صورة (ميرو) التي حجبت نظره عن الدنيا لعرف أن (سيرائيل) يكذب، لكن عينيه كانتا بالفعل ممتلئةٌ بها حتى لحظتها .

طفا جسد (ميرو) المحترق محتوياً ابن الشيطانِ فوق صفحةِ ماء (النيل)، يحميهِ ويوَجههُ حيث مصيره المُعَد مسبقاً .

لتبدأ الحكاية ..... حكايةُ (آمون)، الشيطانُ العابد .

******

كعادةِ الدنيا، استمرت في طريقِها غير ملتفتةٍ لما قد فات، و لم يبقَ من الماضي سوى بعض الأحاديثِ الجانبية؛ بين أبناء الشيطان كلما رأوا شرودَ أبيهم فوق عرشِه . أفلت الجناةُ بأرواحهم التي راهنوا عليها، حين أقدموا علي تلك الخدعة الشيطانية، لم يسأل (إبليس) كيف نجا ابن (ميرو)، ولا كيف أفلتته أمُه من بين يدي (سيرائيل) . كان كلُ ما يتملّك عقله وقتها الانتقام، فقط الانتقام . أغلق البابَ على ذِكرى قاتلة، وآثر ألا يفتحه من جديد .

انطفأ الغِلُ في نفس (ميركو) بعد أن عاد الشيطان يستخدمُها للإنجابِ من جديدٍ، رغم أنها تعلمُ كونَها بالنسبةِ له مجرد رحِمٍ؛ من دون أي مشاعرٍ، رغم فقدها الذي طال لولدِها الأكبر (سيرائيل)، وبدا أنه سيستمر ما دامت بهم الحياة، لكنها كانت راضيةً فقط بغياب (ميرو) عن عين معشوقِها .

وبقى السؤال - أىُ سحرٍ أصابَ قلوبَ الشياطين بالحب؟ -

******

جلسَ (آمون) فوق الصخرةِ التي ألِفَها منذ عامٍ تقريباً، يرقَب الشمسَ، كانت تعشقه فألقت بكل أشعّتها فوق جسدِه، وربما انجذبَت له راغمةً، فقد اكتملَ الجسدُ وأصبح ابن الثامنةِ عشر، لم يكن يشبهه مخلوقٌ فوق الأرض، كأنه ملَكٌ هبط من السماءِ واستقرَّ حيث أحَبَّ .

عيناه الزرقاوتان تفيضان بموجٍ صافٍ، شعرهُ الأصفر المجدولُ بِيَد أمه (إيجي)، ونورُ وجهه الطافي فوق ماءِ النهر.

ثمانية عشر عام لم يره إنسي، ولم يرَ هو غيرَ (إيجى) أمه التي أخبرَتهُ أنه ملاكٌ؛ وهديةُ السماء لها . لم يستغرب هو كلماتَها، فقد كان يرى الفرقَ، بين خِلقَتِه وخِلقةِ أمِه، كانت قد علّمته، كلَ ما تعرفه عن ربِها، حتى صارَ عابداً، كمثلها .

كان اليومُ هو يوم الوداعِ . يعلم أنه لابد وأن يودِّع محبوبَه (النيل) . كان يراه يحوي نصف ما في الدنيا من أسرار، وجمال، ومشاعرٍ أيضاً . يبدو كواهب الحياة والخير، يجذب اللون الأخضر إلى جانبيه، ومن دونه يبدو الوجود أجدبُ .

سيثور بعد أيام ويُغرق كل ما حوله كعادته، وبالطبع لابد أن تنتقل (إيجي) وابنها إلى حيث لا تطولهما يد (النيل) الغاضبة .

كان يتأمل صفحة الماء، يعلم أنه سيعود ليراه من جديد، لكن من مكان آخر، العجيب أن أماكنه كانت كلها جميلة، ربما لأنه كان لم يزل بكراً، أو لأنه أحبه بصِدق .

= تعلمُ أنه لا يوجد بكل هذه الدنيا من أُحبه أكثر منك وأمي؛ بعد الله.

ليتني أعلم ما يغضبك حتى لا أفارقك ولو لأيام معدودة .

أكيد أنك تسمعني وتحبني كما أحبك، لكن أكثر ما يقتلني هو أنني ملَك، لا أستطيع الذوبان فيك كما تفعل (إيجي) .

لو خُيِّرت منذ البدء لاخترت جسد الطين لألامسك ، ليس بيني وبينك أيها (النيل) إلا الجسد، لكنى أعلم أنني هديتها من السماء، لذا سأظل أحبك ولو عن بُعد .

كانت الشمس قد بدأت النزول إلى الماء لتغرب .

= سيأتي يومٌ أصير أنا فيه الشمس، وأشعر أن غروبي سيكون بين أحضانك .

سحب الغروب رِداءه فوق الكون الذي بدأ في التثاؤب، فَتَذَكّر أمه (إيجي) .

******

دخل (آمون) إلى الصومعة ليجد (ايجي بتاح) تستعد للرحيل، وتلملم أشياءها البسيطة .

: أين كنت يا (آمون) ؟

= أودِّع (النيل) .

: أعلم أن ذلك (النيل) سيسلبك رشدك في يوم من الأيام .

= سلبني إيَّاه بالفعل يا (إيجي) .

: كله ؟

= إلا الجزء الخاص ب(إيجي)، هو ملكك منذ وهبني الله لكِ .

احتضنته بشدَّة .

: ولَدي الحبيب.....مرَّت أعوام وأنا أراك تكبر أمام عيني .

= ولن أبرح عينيك ما بقيت يا أجمل أم في الدنيا .

: أرجو الله أن يبقيك بِظِلِّي إلى أن ألقاه .

والآن دعنا من كل هذا، هيا لقد آن الأوان لنرحل ونحل في مكان آخر، قد ينفذ صبر (النيل) ونحن لا نحتمل غضبته .

= لا تقلقي إنه يحبني كما أحبه، وأشعر أنه يفعلها راغماً .

: واثقةً أن البقعة الجديدة منه ستكون أجمل .

= ما خذلني من قبل .

: إذاً فلتساعدني أيها العاشق الولِه، الأشياء ثقيلةٌ .

= عنكِ كل الأشياء فأنا (آمون).....- ينحني أمامها - ملاكِ سيدتي .

ضحكت وهي تراه يحمل الأشياءَ بسهولة شديدة رغم ثقلها، لكنها لم تستغرب فهي تعلم كل شيء منذ البداية .

******

هاج (النيل)، ولم تهدأ ثورته إلا بعد أن قدّم المصريون قربانهم من أجمل بناتهم، وعادت الحياة تستقر على ضفافه من جديد .

لا يستطيع أيُ إنسانٍ أن يحدد سر العلاقة الناشئة بين (النيل) والمصريين، لا في عمقها ولا فى قوّتها . سر تلك العلاقة التي تجعلهم يخشونه ويحبونه في ذات الوقت، العلاقة التي تجعلهم يقدمون أجمل بناتهم لأحضانه كل عام لتظل قائمة، كان يجري فيهم لا من تحتهم .

ربما يؤمن البعض بأنها الحياة التي وهبها (النيل) لأرض (مصر)، أمّا أنا فأعتقد أنها أكبر بكثير من وهبهم الحياة، عندما نظرتُ فيه من قُرب اعتقدتُ أنه هو الحياة بعينها . عندما انفردت به شعرت أنه كل شيء من دون أي شيء، أنه الحياة وهو أيضاً..... الموت.

كان المكان الجديد الذي اختارته (إيجي) أجمل من كل الأماكن الماضية، لدرجة أن (آمون) نفسه ظنّ أنه يرى (النيلَ) لأولِ مرةٍ.

أقام صومعته، ألقى بأشيائه داخلها ثم انطلق جارياً.

: (آمون) . أين أنت ذاهب يا ولدي ؟

= تعلمين يا أمي .... أعدكِ لن أتأخر.

: ستتأخر.

ثم في سرّها:

: قلت ستُجن بعشقك (للنيل) .

******

رغم أنه افتقد صخرته القديمة إلا أنه وجد صخوراً عديدة؛ يمكنها أن تعوِضه ما مضى، جلس فوق إحداها يتأمل الماء .

= ها قد عدتُ من جديد.

ألم أخبركَ أن الأمر لن يطول ؟ أعلم أنك تجيبُني بلغةٍ لا أفهمها، لا تقلق سيأتي اليوم الذي سأفهم لغتك ولن ينقطع الحديثُ؛ ما دمت حياً.

هل تعلم ؟ إن (إيجي) تغار عليّ منكَ، ألحظ نبرتها كلما غبت عنها لأجلك، وأعتقد أنها محقَّة فى هذا . إنها تحبني أكثر من الحياة نفسها.

أخبرك شيئاً ؟ لكن عدني ألَّا تغضب – مبتسماً - إنها تحبني أكثر منكَ أنت . أرجوك لا تغضب منها إن أحبتني أكثر من أجمل شيء في الدنيا، فهي أمي، وأنت تعلم .

وبينما هو يُلقى بأحلامه وآماله في النيل ، إذا بصوت ضحكاتٍ رقيقة تنسلّ من بين البوص، وتأخذ طريقها إلى أذنه ،كان أكيداً أنه ليس صوت أمه (إيجي) ذلك الصوت الذي يعيه جيداً، بل وفُطِم عليه.

شعر بخوف شديدٍ لأولِ مرة في حياته، كان إحساس الخوف يولد بداخله، وكم هو مؤلمٌ إحساس المخاض . ربما كان الخوف من المجهول هو ما ولَّده .

كان يشعر بالقوة اللا متناهية تسكن عروقه، لكن صوتاً رقيقاً أحال قوَّته إلى رجفة مرتعبة، جعلته يهب من جلسته ويمنح ظهره للصوت، ينطلق إلى حيث يتلاشى الإحساس الوليدُ، إلى حيث أمه (إيجي).

دخل الصومعة وأنفاسه تتسارع على غير عادتها .

: ما بك يا ولدي؟!!

قالتها مرتعبة

= لقد.....لقد سمعت صوتاً.

: أيَ صوت يا (آمون) ؟

= صوتاً يشبه أصواتنا، لكنه لا ينتمي لأيٍ منَّا.

فزعت (إيجي) قائلة:

: من أين يأتى ذلك الصوت ؟

أشار بإصبعه إلى حيث أتاه الصوت، من بعيد .

أرسلت (إيجي) بصرها حيث أشار، التفتت إليه ملؤها الخوف والفزع .

: هل لمحَك أحد ؟

= لا يا أمي عُدتُ مُهرولاً بمجرد أن سمعته.

أخذت تلملم أشياءَها مرة أخرى دون أن تمنح ولدها أىَ فرصةٍ للنقاش

: هيا ...هيا بنا، لابد أن نرحل الآن .

= نرحل !.....الآن ؟ لم يلمحني أحدٌ، ليكن باكراً .

: الآن يا (آمون)

قالتها بحزم صادقٍ

: أنت لا تعرف معنى أن تكون قرب البشر، لست منهم يا ولدي .

= إنهم مجرد بشر يا أمي، أنتِ أيضاً بشرية .

: وأنت ملاك والملائكة لا تحيا بين البشر.

= لماذا تهربين منهم ؟

: لأني أعرفهم، هذا أمر الله لي أن أحافظ على هديته .

= غربت الشمس يا (إيجي) وأخشى عليكِ جهد الليل، أنتِ منهَكَةٌ، لن يضيرنا إن بتنا الليلة وصباحاً نرحل إلى أبعد مكان عن هنا.

لم يكن ينكر من داخله أنه عشق ذلك المشهد الجديد (للنيل)، ولم يروِ ظمأه منه حتى لحظتها . لكن الصوت الرقيق كان قد داعب أقوى غرائزه على الإطلاق، الفضول، الفضول الذي أسقط (ابن الطين) من قبل .

سنوات عاشها لا يعلم أن الدنيا تحوي غيره و(إيجي)، تلك العزلة التي فُرِضت عليه لدرجة أنه ارتعب لمجرد سماعه صوتاً ليس لأمه، ربما كان ضعيفاً، لكنه بدا .....جميل .

أخذت (إيجي) تجمّع الأشياء بسرعة غير ملتفتة لكلمات ولدها الأخيرة .

= أمي.... الليلة فقط .

: (آمون) ليس لي بهذه الدنيا إلا أنت، أنت وحدك من جئتني لتكسر باب عزلتي . جئت لتذكرني بالحياة، لتمنحني ريحها، ولن أسمح لأيٍ كان أن يؤذيك.

= ولماذا يؤذونني ؟! لم أرتكب أي حماقة لأستحقها، سألاقيهم بالحب .

: إنهم يؤذون من دون أسباب .

= حتى وإن كنت ملَك ؟

: سيؤذونك لمجرد أنك ملَك، لن يُفلتوك لأنك لا تشبههم، إنهم لا يؤمنون إلا بأمثالِهم، صدقني يا ولدي هيا نبتعد عن هنا، والآن.

كان إصرار (إيجي) قد ألجمه . فحمل الأشياء مرة أخرى وبدأ رحلةَ البُعد عن البشر، انتابت (إيجي) نوبة من النعاس المفاجيء بعد مسافةٍ ليست بالطويلة، راحت في النوم ليأتيها ملَكها من جديد .

- السلام عليك يا (إيجي)..... مرت سنوات .

: وعليكَ السلام .

-لقد أديتِ رسالتكِ على أكمل وجه، وها هو (آمون) قد صار فتياً كاملاً

: ما زال يعتقد أنه ملاك .

- وإياكِ أن تخبريه غير هذا وإلا قتلتيه، جئت لأذكِّرك يا (إيجي) .

: بأي شيء ؟

- لا تنسي أنك أمه.....أمه فقط .

: أشعر كأنني ولدته .

- إيّاكِ أن تُحَل أجنحته يا (إيجي) .

: أقسم لن أفعلها ما حييت .

- والآن أتيتكِ برسالة من ربك .

: وما هي ؟

- إن الله يأمركِ أن تستقري حيث أنتم الآن .

: مازالت المسافة غير كافيةٍ لأبعده عن أعين البشر.

- هذا أمر ربكِ يا (إيجي)، استقري حيث أنتِ الآن، لقد سمع (آمون) صوتاً سيعرفه، وإن ابتعدتي به للسحب سيعود دون أن يخبركِ، سيبحث عما يقرب مسافته إليه، ربما لحظتها سيحِل أجنحته بيديه . استقري حيث أنتِ فالأمر محتوم .

فتحت عينيها متعجبة، كانت كلمات الرسول واضحة تماماً . استقري حيث أنتِ .

دارت بعينيها في المكان فألفَه قلبُها، لكن شيئاً كان يجثم فوق صدرِها الخائف لأن المسافة لم تكن كافية على الإطلاق .

= ماذا بكِ يا (إيجي) ؟

: سنستقر هنا .

كان يعلم أن المسافة لا تكفي فزعها السابق، لكنه من دون جدال نطق

= أمركِ يا أمي . هل أنصب الصومعة ؟

: نعم (آمون) هنا .

أخذت تتابع فتاها الجميل الذى علَّمها الخوف منذ أن وجدته؛ وهو ينصب أركان صومعتها إلى جانب النهر، وقلبها يكاد يقتلها خوفاً عليه .

******

لم يكن المشهد يختلف كثيراً عن سابقيه، نفس السحر الذي يمنحه (النيل) (آمون) إذا ما جلس قبالته، لكن إحساساً جديداً وغريباً كان يراوده من آنٍ إلى آخر، إحساساً يتنافى مع ذلك الخوف الذي أحسه لأول مرة، ويتنافى ايضاً مع خوف أمه، يريده أن يعود . إنه المكان السابق حيث الصوت المُنسَل من بين أعواد البوص، لم يعلم كنه الإحساس أبداً لكنه كان.....موجوداً ومُلِحاً..... مُلِحاً جداً .

على الجانب الآخر كانت (إيجي) تبكي في كل صلواتها، لا لشيء أكثر من أن يحفظ ولدها الحبيب، ويبعده عن أعين البشر الذين عاشرتهم من قبل .

عندما دخل عليها (آمون) كانت لم تزل تبكي فى الصلاة .

= (إيجي) لم تتوقف دموعكِ لحظةً منذ أن استقر بنا المكان . لنغادره إن كان هذا يرضيكِ وكفاك عذاباً .

: لا يا ولدي ليس المكان . إنه خوفي عليك .

= شدة خوفكِ بات يقلقني يا أمي .

: إنه إحساسٌ لا يمكن للأم أن تتخلص منه أو تخفيه، لن تجد له تفسيراً، إنه سرُ الوجود يا ولدي.

= هل تعلمين يا أمي ؟

إن شيئاً بداخلي يريدني أن أعود إلى مصدر الصوتِ مرةً أخرى .

: أعلم تماماً وهذا ما يبكيني، إنها طبيعة كل المخلوقات، سيناديك مادمت لم تتبينه .

أرجوك يا ولدي حاول أن تتجاهل نداء المكان السابق، فلتمحه من ذاكرتك كأنه لم يكن .

أرجوك يا ولدي . إن كنت لا تزال تحب أمك (إيجى) .

= سأحاول يا (إيجى) . أعدكِ أني سأحاول إن كان هذا سيجفف دموعك، لا حاجة لي بغيرك من بين كل البشر، أنتِ كفايتي .

كانا يعلمان الحقيقةَ، لكن كلاهما تظاهر بتصديقِه للآخر، فلم يكن الأمر بيد (آمون) ولا بيد أمه، التي تعلم أن اليوم آتٍ لا محالة .

******

لم يمنعه وعده بالمحاولة من أن يتسلل خلال البوص، ليطفيء فضوله المشتعل .

كان يعلم أن قلب (إيجي) يرقب كل خطواته، حين فتح الستارَ أدرك أنه كان يبحث عن سرابٍ، خاب ظنه حين لم يجد أياً مما توقع . (النيل) يجري إلى حيث لا يُرى، السماء صافيةٌ، الشمس تلمع في عينيه البارعتين، لا شيء مطلقاً، ربما كان ما سمعه محض خيالاتٍ خلقها خوفه الشديد من الأشياء، ذلك الإحساس الذي ربَّته أمُه عليه . شعر أن خيالاته قد افقدته متعةَ مشاهدة ذلك المنظر الخلاب (للنيل) فلام نفسَه بشدّه .

ملأ عينيه من ذلك المشهد وقرر أن يغادر من دون رجعة، لم يكن يتخيل أن يناديه الصوتُ مرّة أخرى بعد أن أدار ظهره إلى مصدره؛ ليبدأ رحيله . حاول أن ينفض تلك الهذاءات من رأسه، لكن الصوت كان يصر على أنه حقيقةٌ وليس سراب كما ظن من قبل .

لم يتخيل أن خوفه الذي نفضه من داخله منذ لحظات سيعاوده .

رغم أنه كان يتوق لكشف مصدر الصوت، ورغم أنه حزن كثيراً عندما وجده خيال، ففضوله لم يرضَ، لكن الخوف راوده من جديد، في تلك المرة لم يُفقده كلَ تماسكه كما حدث من قبل، لملم ما بقى من قوة داخله وعاد يباعد بين أعواد البوص؛ إلى أن تكشَّف المنظر بوضوح .

مجموعةٌ من الفتيات العاريات يغمرن أجسادهن في ماء (النيل) من دون أذى، يتبادلن الضحكات الرقيقة في فرحٍ غامر. لم يمنع عينيه من تأمل أجسادهن الرائعة، غاص في تفاصيلها . يشبهن أمه في كل شيء، لكنهن أكثر صبا، لم يسرق الزمن من جمالهن كما فعل مع (إيجى)، كنَّ في السن الذي يأخذ من الحياة لا الذي تأخذ منه .

كم هو جميلٌ أن تلامسَ ماءَ (النيلِ) بجسدك من دون خوف . كُنَّ يفعلن ما أراده منذ فتح عينيه على سحرِ النهر . أربعة من الفتيات يزدن (النيل) جمالاً على جماله، ورقةً على رقته، أجسادهن لا تحترق، وقتها حسد البشر وإن كانت منهم أمه (إيجي) .

بدأ خوفه يتلاشى شيئاً فشيئاً، أي أذى يمكن أن يأتيه من تلك الأجساد النحيلة الرقيقة، أي أذى حكته له (إيجي)، لابد أنها كانت مخطئةً، أكيد مخطئه . علَّمته هي نفسها ألا بشر من دون أخطاء، وهي من البشر.

خانته أعواد البوص واهتزت، فانجذبت كل الأنظار إليه دفعةً واحدةً، صرخت الفتيات، حاولن إخفاءَ مفاتنهن البادية وانفضّ المكان إلا من واحدة . واحدةٌ فقط كانت تصوب عينيها إليه مباشرة وكأنها مسلوبة الوعى . تسمّر في مكانه للحظات، لم يدرِ ماذا حلّ به، شُلَّت جميع أعضائه بينما هي تقترب لا تداري خجل عريها عن عينيه، بدت كالمجذوبة المسحورة، تتجه ناحيته إلى أن صارت أمامه مباشرةً، مدّت يدها لتلامس وجهه الملائكي، عندها استعاد كامل وعيه وكامل أعضائه ليختفي عن ناظريها تماماً . كان الطريق يُطوى تحت قدميه، و وعيه لا يعرف إلا طريقاً واحداً . طريق (إيجي) أمه التي حذّرته مراراً من تلك اللحظة، لكنه لم يطاوعها، جرى رغم أنه لا يجد مبرراً، فقط جرى .

******

كانت ملامح (آمون) جديدةً على وجهه حين دخل على (إيجي) صومعتها، كان يرتجف كما لو أن الدنيا بحالها تطارده . تلقَّفته بين ذراعيها وضمَّته إليها بكل ما تملكه من خوف عليه. مرّت لحظات ليست بالقليلة حتى هدأ، وهدأت معه .

بعدها نظرت في عينيه مباشرة .

: حذّرتك يا ولدي لكنك لم تطاوعني .

كنت أعلم أنها البداية، واخترتَ أن تبدأها مبكِّراً.....مبكِّراً جداً .

أخذت تمسح على شعره إلى أن ارتاحت روحه وراح في النوم، نومٌ يسبق كلَ الحكاية .

******

مرّت الأيامُ بطيئةٌ، لأول مرّة كان (آمون) يجلس أمام (النيل) ولا يراه، لم يعد يهتم لأمرِ الشمس السابحة في صفحته، حتى رغبته الملحة في النزول إلى الماء خمدت وحلّ محلها رغبةٌ أكثر إلحاحاً . كان يحاول أن يكبح جماح رغبته الجديدة، كي لا يُغضب (إيجي) أمه التي تمثّل له كل حياته، وأكثر.

كانت (إيجى) أعلم بحال (آمون)، لكن ليس بيدها أن تُطلقه إلى حيث نهايته .

كانت تحبه أكثر من أمٍ له، كانت تخشى عليه اللا شيء، وبأي حال لم تكن تريد أن تفقد هدية الرب لها .

هذا ما كانت تحاول أن تقنع نفسها به، لتخفف من وقع ألم ابنها أمام عينيها . ابنها الذي أحبته، حتى جاوز الأمر حدّ الحب نفسه .

كانت تعلم أن الأشياء لا تكتمل إلا بانتهائها، وإن كانت البداية قد حدثت رغماً عنها، فعليها أن تقاتل لتمنعها من الانتهاء، أو حتى تؤجله ..... انتهاء ولدها (آمون) .

كان ما يؤلم (آمون) شيءٌ آخر غير الفضول، شيءٌ آخر غير الخوف الذي لم يبرره وجه الفتاة، شيء آخر غير حبه ل(إيجي) .

المشاعر تأخذ من بعضها، وكلما زاد شعورٌ أخذَ من غيره القليل .

إنه يريد بكل كيانه أن يعود، لم يكن يدري لماذا، ولم يكن يعلم إلى أي مدى سيصل احتماله عدم العودة مرّة أخرى .

كان يتأمّل وجه (إيجي) وفي عينيه رجاء، ملؤهما أن تنطق بكلمة واحدةٍ هي – اذهب - لكنها لم تنطقها أبداً، أكيد أنها لن تفعل وإن فات العمر كله .

******

عندما عاد (آمون) إلى حيث أراد. وجدَها جالسةً، كانت وحدَها تتأمل ما اعتاد أن يتأمله في كلِ مرّةٍ، لم يكن يعلم أي حكاية بدأها وحدّثته أمه عنها . كان يرى أمامه كائناً رقيقاً منشغلٌ بما ينشغل هو به، كان يرى الأمور ببساطة أكثر مما تُحمِّلُها أمه، بل آمن وقتها أن امه (إيجي) مخطئةٌ في تقديرها.

شعرَت بوجوده، التفتت إليه من دون أي استغراب، وكأن عودته كانت حتميةً بالنسبة لها .

سبحت في عينيه من دون خوف .

+ كنت أنتظركَ .

كانت كلماتها صادمة لدرجة أن لسانه لم يستجب لها بكلمةٍ واحدة .

+ كنت أعلم أنكَ حقيقة ولست مجرد خيال .

= مَن أنتِ ؟

+ بل مَن أنتَ ؟

= أنا (آمون) .

+ غريبٌ هذا الاسم .

= منحتني إيَّاه (إيجي)، أمي .

+ وهل هناك أم لملَكٍ مثلك ؟

= كيف عرفتي أنني ملَك ؟ أمي فقط من تعرف .

+ لأنني أعرف البشر جيداً، وليس منهم من يشبهك .

= أخبرتني أمي أنني ملَك هادتها السماء بي في ليلة مطيرة .

+ لم أكن أعرف أن السماء يمكن أن تهدي البشر ملائكةً.

= حدَثَت مع (إيجي) .

ولكن من أنتِ أيتها البشرية ؟ إنكِ تشبهين أمي، لكنّكِ أكثر صِبا وأكثر.....جمالاً .

+ حقاً ؟ هل تراني جميله ؟

= نعم .

+ لا أدري . هل يمكن لمثلك أن يرى الجمال في ما هو خارجه رغم أنه يملك كل جمال الدنيا فيه ؟ اسمي (ساهي)..... (ساهي حور) ابنة (نف سور)، أكيد أنك تعرفه .

= بالطبع لا . أنت أول من أراه من البشر بعد (إيجي) .

بدت على وجهها علامات الدهشة . في أي حال آخر كان عليها أن تكذِّبه، لكن طريقته في الكلام، ونقاء ملامحه أجبرتها على تصديقه، حاولت أن تتحايل على تصديقها كلامه .

+ أنت تمزح ؟

= ولماذا ؟ أقسم أنني لا أقول إلا الصدق . فالكذب من صفات العبد العاصي، أنت أول بشرية تقع عيني عليها وأحدِّثها بعد أمي (إيجي) .

+ تبدو في العشرين من عمرك، ولم ترَ أيَ بشرٍ من قبل ؟!!!!

= بل ثمانية عشرة عام، ولم أرَ بشرياً من قبلِك .

+ كيف ؟!

= تخشى (إيجي) عليَّ منهم، لذلك وارتني عن الأعين طيلة حياتي، وجئتِ أنتِ لتغيّرى ما اعتدته ثمانية عشرة عاماً .

+ عجيب هو كلامك .

= وما العجب في أن يعتزل أحدٌ الناس ؟

+ وكيف سيحيا بدون الناس ؟

= كما أحيا أنا و(إيجي)، تلك المسكينة اختارت العُزلة من أجل ولدها الذي لم تنجبه في يومٍ من الأيام .

+ أرى الحبَ يطلُ من عينيك وأنت تتحدث عن أمك .

= لا يشاركني في حبها سوى ذلك النهر.

+ إنه يشارك كل (المصريين) قلوبهم .

= تحبين (النيل) مثلي ؟

+ بل أعشقه، فهو أجمل ما في دنياي، خاصةً حين تسقط فيه الشمس عند الغروب .

= عجيب أننا لم نتقابل إلا الآن وتملكين نفس وصفي (للنيل)، لحظة الغروب هي أشد ما يفتنني به، لكنكِ لن تدركي مدى حزني، فأنا لا أستطيع الذوبان في مائه .

+ حاول ولن تندم .

= حلمت كثيراً أنى أسبح في مائه من دون أن أحترق .

+ تحترق ؟!

= ألم أخبركِ أنني لست بشرياً . إنني ملك، ولا يجوز للملَك أن يمسه الماء، فعليّ أن أتقي الأمطار، وندى الصبح، حتى ماء من أعشق . هل تعلمين؟ حسدتك حين رأيت جسدك يعانق ماءه.

(بخجل)

+ جسدي ؟ إنني ...إنني.....

توارد إلى مسامعهما صوت بوق يدَوِّي في الأفق القريب فنهضَت من جانبه مسرعة، كأن صوت البوق قد أفلتها من لحظة خجلها .

+ لابد أن أذهب الآن فقد حان الوقت . سأنتظرك كل يومٍ في نفس المكان حتى تغرب الشمس، أوَد أن أراك، هناك الكثير أريد أن أعرفه عن ملاكي .

ابتسم (آمون) ابتسامة أنارت الكون في عينيها

= سأحاول أن أكررها .

+ أرجوك ..... من أجلي .

أخذت تبتعد، وجد (آمون) نفسه يردد

= من أجلِكِ .

******

لم يكن الأمر يحتاج لأكثر من نظرة في وجه (آمون)، لتعرف (إيجي) كل شيءٍ وأكثر. قتلها الأسف المُطل من عينيه، كأنه يقول لها – أرجوكِ لا تغضبي لأني عصيتكِ –

: ذهبت إلى هناك مرّةً أخرى ؟

كان ارتباكه كفيلاً بالإجابة على سؤالها .

: رجوتك ألا تفعلها من أجلي، من أجل أمك (إيجي)، لكنك بدأتها، عصيتني وبدأتها، الله وحده من يعلم إلى أين ستأخذنا الأيام .

= لا تخشي عليَّ يا أمي، كل شيء على ما يرام .

: أي شيءٍ يا (آمون) ؟

= إن البشر طيبون وليس علينا أن نخشاهم بعد الآن . لقد عاملتهم.....

صرخَت في وجهه صرخةً كانت الأولى وربما كانت الأخيرة وهي تهزه بعنف من كتفيه .

: عاملتهم ؟ كم مرةٍ فعلتها ؟ مرةً ؟ مرتين ؟ أنا التي أعرفهم، أنا من عايشتهم سنوات لا أذكر عددها، وأنا أقولها لك، ليست هي كل البشر، البشر مختلفون بعدد وجوههم، لن تقدر أن تعرفهم وإن أردتَ .

تعتقد أنك منهم ؟ نسيت من أنت ؟ ستنتهي بمجرد أن يشيع أمرُك بينهم، سيسألونك من أنت ؟ ومن أين هبطت على دنياهم ؟

امنحني إجابةً واحدة لن يستغربها أو يكذبها أيٌ منهم . ملَك ؟.....

هل تعتقد أنهم سيسمحون لملَك يعبد الله أن يعيش بينهم بينما يعبدون (فرعونهم)؛ المتألِّه على عرشه ؟

إن سألتهم عن ربهم سيشيرون إلى القصر الكبير، بماذا ستخبرهم إن سألوك عن إلهك ؟ أم أنك ستنكره لتعيش بينهم ؟ إلهُك الذي عشت عمري لأعرفه وأعرِّفك به .

كسرت قلبي يا ولدي، والآن ليس علينا سوى الانتظار حتى تتكشّف لنا خبايا الأيام القادمة ولا أظنها ستحمل الخير أبداً .

= أمي.....

: اتركني لحالي . أحتاج أن أصلِّي ربما خفف الله وطأةِ الآتي .

منحته ظهرَها لأول مرةٍ، دار بوجهه آسفاً، تاركاً الصومعة بينما دموع (إيجي) تبلل محلَ سجودِها .

******

كانت (نانا) ماشطة (ساهي) هي أقرب مخلوقٍ لها، تُلقى بكل أسرارها إلى بئرها السحيق من دون خوف، والدها (نف) منشغل بحكم منصبه ككبير كهنة (فرعون) الأعظم، ووالدتها (راميس) تتابعها عن بعد. فقد كانت حفلاتها الصاخبة، لا تكاد تقف لحظةً، تاركةً ابنتها لماشطتها الأمينة (نانا) .

: أرى مولاتي (ساهي) في حالٍ، هو الأسعد منذ نلت شرف خدمتك .

+ لا تتخيلي مقدار سعادتي يا (نانا)، أشعر بالحياة في ثوب جميل، لقد رأيته اليوم وتحدَّثت إليه .

: تقصدين ذلك الخيال الذي حدثتيني عنه من قبل ؟

+ لم يعد خيالاً بعد الآن، إنه حقيقة .

أفلتت شعرها من بين أصابعها، وجلست قبالتها تسألها متلهِّفة :

اخبريني يا مولاتي بكل كلمةٍ دارت بينكما .

+ اسمه (آمون)، ليس بشرياً، أخبرني أنه ملَكاً وأنا أصدِّقه تماماً، فليس بين البشر من يشبهه .

: ألهذا الحد هو جميل ؟!

+ أجمل من أن أصفه لك يا (نانا)، كل الصفات الجميلة لو تجمَّعت فوق لساني الآن ما وفّته، إنه ملَكاً هادت به السماء أمه (إيجي)، ملكٌ أجملَ من الشمس عند الشروق .

: السماء لا تمنح البشر هدايا مولاتي .

+ كنت أعتقد ما تقولين لكنها فعلتها مع (إيجي)، وربما فعلتها معي أنا أيضاً، فمنذ أن رأيته أحسست بروحي تشتعل عشقاً .

: مولاتي هل نسيتِ ابنة من تكونين ؟ أنتِ ابنة الكاهن الأعظم (نف حور) .

+ أقسم (بفرعون) الأعظم أن أبي لو رآه لصدَّق أنه ملَكاً نزل من السماء إلى دنيانا؛ ليملأها بنوره .

: أرجوكِ سيدتي لا ترددى مثل هذا الكلام ثانية، لربما سمعه والدك فآذاه و.....آذاكِ .

+ وهذا كل ما أخشاه . سأحفظه في صدري، لكني لن أستطيع منع نفسي من لقاءِه، عدت أراه في كل شيء من حولي، صارهو الحياة كلها .

: مولاتي أخشى.....

+ لا تتعجلي الأمور يا (نانا)، دعي قلبي يحترق فأنا أتلذذ بهذا الشعور، دعيني أذوب عشقاً وليحدث بعدها ما يحدث .

والآن اتركيني وحدي، فأنا بحاجةٍ لأنفرد بخيالي .

: أمرك مولاتي .

******

مرَّت ثلاثة أيام على (آمون) كأنهم عمره الماضي بحاله، قضاها بين الألمِ والرغبة، وشعور غريب لا يشبه ذلك الذي يحمله بقلبه نحو (إيجي)، يتنامى رغماً عنه . في النهاية دخل على أمه صومعتها ليجدها تصلي . كان يحبها جداً، لكنه لم يعد يطيق الاحتمال .

= أمي.....لم أعد أخشى البشر.

لم تجبه .

= أمي جئتُ أخبرك أنني عائد إلى هناك .

أعلم أنى أعذِّبك بكلماتي، وأنك لا تستحقين مني هذا العذاب، لكني أرجوك أن تسامحينى إن كنت أفعلها رغماً عنك، فأنا ولدك المطيع، لم أشعر بالعزلة إلا الآن، وأنتِ أعلم بألمها، أردت أن أتحمل مثلكِ لكني لم أقدر، أشعر

أن الله يريد لقاءنا، أعلم أن لي حكايةٌ منذ البداية أريد أن أعيشها، أرجوكي يا أمي أريد أن أعرفهم ولو حتى ..... واحدة منهم .

زلزلت الكلمة كيان (إيجي) بأكمله، واحدة غيرها ؟!! رغم هذا لم تجبه .

= ربما تملكين أسباباً لا تريدين البوحَ بها، ولن أجبرك على قولها، فأنا لم ولن أفعلها، لكنني لم أعد طفلاً، من حقي أن أجرب حتى وإن أخطأت .

أنا ذاهب يا (إيجي) وسأعود بعد الغروب، لا تقلقي سأحافظ على نفسي قدر ما يريد الله، واعلمي أنني أحبك أكثر من نفسي .

رحل إلى حيث تخشى (إيجي)، كانت تعلم أن في خطئه نهايته، لكنها لم تعد تملك غير البكاء لربما حفظته دموعها من الأذى .

******

كان لقاؤهما في تلك المرّة لا يحمل أيَ شعور آخر سوى الرغبة في التلاقي، لا خوف، لا حذر، تكسَّرت كل الموانع، مجرد القرب الممزوج بالاحتياج هو ما كان يسوقهما، القلبان يعملان بكيفيَّة جديدة على كليهما، وبداخلهما شعورٌ جنين لم يدركاه من قبل، ربما كان جديداً على (ساهي) لكنه بالتأكيد كان جديداً على (آمون) .

+ كنت أعلم أن عودتك لن تتأخر كثيراً .

= لم أستطع منع نفسي من المجيء .

+ ولا أنا . انتظرتكَ كل يوم إلى غروب الشمس .

= كنت أتمنى أن آتي كل يوم، إلا أن خوفي من غضب (إيجي) هو ما كان يمنعني، واليوم لم أحتمل .

+ جئتَ من دون علمها ؟

= لا بل أخبرتها أني سأراكِ، جئت تاركاً إياها تصلي .

+ تصلي (لفرعون) ؟

= ومن يكون (فرعون) ؟

+ (فرعون) ربي ورب كل الناس .

= لا أعرف إلا رباً واحداً يسكن السماء، هو من علمتني (إيجي) أن أصلي له، وهو من أراه إلهاً يستحق أن يُعبد .

+ ألا تعبد (فرعون) يا (آمون) ؟ هل تكفر بإله (مصر) ؟!

= إن كان ربي اسمه (فرعون) فأنا أعبده، أما إن كان آخراً فأنا لا أعبد إلا واحداً .

+ (فرعون) يسكن قصره ويُجري من تحته الأنهار، بيده حياتنا وحياة كل الأشياء، له القوة، والعزة، والمنعة .

= هي من صفات ربي، لكن ربى لا يسكن قصراً، إنه يجلس فوق عرشه في السماء. إنه أكبر من كل القصور، لا يحويه المكان، وأكبر من كل شيء حتى الزمان، هو من خلقنى وخلقكِ، وحتى (فرعون) .

تلفَّتت حولها بخوف وحذر كأنها تتأكد أن كلماته لم تنسل من بين أعواد البوص؛ إلى أي مكان آخر، كانت تعرف جزاء من يقول مثل كلماته .

+ لا تكرر كلماتك ثانية لأيٍ كان لربما صلبوك حياً .

= ولماذا ؟ ألأنني أعبد الله يصلبوني ؟

+ لا بل لأنك لا تعبد (فرعون) .

= كلماتك تبدر الخوف في قلبى يا (ساهي)، إنك ترددين نفس كلمات أمي (إيجي)، لم أصدقها وقتها، تلك المرأة لا تخطيء رغم أنها بشر.

+ أرجوك يا (آمون) لا تخبر أحدهم بهذا فأنا أريد لك الحياة .

استمر اللقاءُ لساعاتٍ، لم تتوقف كلمات (إيجي) عن مراودة خاطره طيلة الوقت، رغم أنهما تحدثا في الكثير والكثير إلى أن غربت الشمس .

جاءها صوت البوق فانصرفت وفي عينيها نظرة شفقةٍ ممزوجة بحبٍ ظاهر لا يمكن ل(آمون) أن يجهله، لأنه عرفه من قبل في عيني (إيجي) أمه .

******

كان الصمت يملأ المسافةَ بين (إيجى) وولدها، مرّت أيام ليست بالقليلة على هذا المنوال، كان يحاول في كل لحظة التقرُّب إليها، وكسر حاجز الصمت المخيِّم، لكنها بدَت وكأنها صائمةً عن كلامه .

أراد إجابات واضحة على أسئلة كثيرة تتصارع بجوفه، لكن شيئاً يشبه الخجل أو الإحساس بالذنب كان يمنعه من أن يخترق خلوتَها، كافٍ ما قد فعل، بعد وقتٍ فاض به الكيل، لم يستطع خجله أن يقيده أكثر من هذا . اقترب من (إيجي) مُتجاوزاً خلوتها، جثا على ركبتيه أمامها، أمسك بيدها وقبَّلها بحرارة، شعرت (إيجي) بارتجافة شفتيه الساخنة فوق يدها فسرَت فيها تلك الرغبة في أن تحتويه بين ذراعيها للأبد . مسحَت على شعره المذهب برفق بدَّد كل خجله الذي أبعدهما لأيام؛ على غير اعتيادهما .

= سامحيني يا أمي . ربما أنك كنت على حقٍ في كل ما ذكرتيه ، أقسم أني لن أعصيكِ في أمرٍ بعدها أبداً .

: ليس علينا إلا الانتظار الآن يا (آمون)

- شاردةً -

= أي شيء ننتظر؟! لنرحل عن هنا، والآن .

: رحيلنا لم يعد بيدي ولا بيدك . إنه بيد الله وقد أمرنى أن أستقر بك هنا، أعلم أن في هذا حكمة لن أسأله تفسيرها فأنا أثق بربّي .

= إنهم يعبدون بشرياً يا أمي .

: هذا ما كنت أخبرك به ولم تفهمني . إنهم لا يعبدون ربي وربك، وإن علِمَ (فرعون) أن هناك من لا يعبده على وجه الأرض فلن يتوانَ عن قتله من دون رحمة .

= ولماذا ؟

: الكِبْرُ يا ولدي .

= أيُ كِبْرٍ يا أمي، وعلى من يكون هذا الكِبْر؟

: إن وُجِدَ الكِبْر فلا تسأل . إنه الكبْر فقط .

= إنها تعلم أنني أعبد إلها غير (فرعون) .

: ومن تكون ؟

= (ساهي) ابنة كبير الكهنة (نف سور) .

: يا ويلي ..... أوجَعْتَ قلبي يا (آمون) .

= أمي أنا لا أخشاها فقد نظَرَت إليّ نظرة عرفتها منك أنت وحدكِ، نظرةً أشعر معها بال..... .

: إنها تحبك يا (آمون) .

= تحبني ؟! أشعر بهذا ....

: لا يمكن لمن يراك إلا أن يحبك يا ولدي .

= ألأنني ملَك ؟

: بل لأنك أجمل ما تقع عليه الأعين .

= لندعنا من كلمات الإطراء هذه، الآن ماذا سنفعل ؟

: ستُخبر أحدهم بأمرك .

= أخبرتني أنها تخشى أن يعرف أيُ إنسانٍ بوجودي، وأنا أصدِّق عينيها مثلكِ تماماً .

: ستُخبر أحدَهم صدِّقني، إنها طِباع البشر، يضيقون بما ينغلِق عليه صدورهم .

لن يطول الأمر وسيصل سرُّك إلى قصر (فرعون) .

=حتى وهي ..... تحبني يا أمي ؟

: لا تحاسبها على ما ليس بيدها، إنها بشريه يا ولدي، وحين يقتلها البُعد ستتكلم وسينفضح أمرنا آجلاً أو عاجلاً .

= لكنكِ.....

: اعتزَلْتُ الناس من قبل لأعبد ربي فقط، والآن اعتزلتهم لأعبده وأحميك .

صدِّقني لو كنت بينهم فالله وحده يعلم ماذا كنت فاعلة .

انتظر يا (آمون)، انتظر. فلا أحد يعلم ماذا ستحمل لنا الأيام القادمة إلا من أراد لكل شيء أن يبدأ .

******

ساعات قليلة كان (آمون) قد باح لها بمكنون أسراره، منذ البدء وحتى رآها أول مرة ،كان أجمل من أن تكذِّبه، كان يبدو صادقاً فكيف يمكن لمَلَكٍ أن يكذب؟

حدَّثها عن (النيلِ) وتلك العلاقة التي تولَّدت بينهما ، (إيجى)، الله، خوفه من البشر، وأشياء كثيرةٍ كان يحلم بها . كانت كلماته تنساب إلى قلبها كالدم في العروق، أحسَّت أنه يحمل أحلامها ومشاعرها بداخله، كما لو لم يكن غريباً عنها . كان القرب يزداد حتى من دون لقاء، القلب يلتهب،ولحظة الفراق باتت موجعة حد الموت .

أيام وأيام انتظرَته أن يعود إلى ما بعد الغروب، طال البعد والانتظار لدرجةٍ لم تعد تحتملها. لم يعد هناك مفرٌ من أن تعترف لنفسها بعشقِه . إنها تعشقه بكل كيانها، لدرجة أن العشق بات ظاهراً عليها، وهي لا تنكر هذا أبداً.

لاحظت (نانا) ماشطتها تغيُّر حالها وشحوب وجهها، تلك الزهرة المضيئة التي كانت تملأ الدنيا عبيراً ونوراً، بدأت تذبل أمام عينيها شيئا فشيئا ، لم تملك إلا أن تسألها .

: مولاتي (ساهي)، حالك يتغير يوماً بعد يوم، وأرى نور وجهك ينطفيء، ألا تريدين إخباري بشيء ؟

+ أيامٌ عديدةٌ ولم أره يا (نانا)، في كل مرة أتمنى لقاءَه، وأخاف عليه أن يعود .

: العشق يقتلكِ مولاتي .

+ فليقتلني، كل ما يهمني هو أن يأمن بطش (فرعون) .

: ولِمَ يبطش به (فرعون) العظيم ؟

+ إن علِمَ أنه يعبد غيرَه فلن يرحمه، ولن ينجُ .

: مولاتي أي جنون هذا ؟!! وهل هناك من لا يعبد (فرعون) الأعظم ؟

+ جاهدتُ، لكنه يحب إلهَه أكثر من حبي (لفرعون) نفسه . لم أكن أتخيل أن أجد من يكفر بإلهنا ويملك ذلك المنطق أبداً . لو سأله (فرعون) لن يكذب، وهنا المصيبة يا (نانا) .

: لا يمكن يا سيدتي أن تعشقي إنساناً كفر بإلهنا .

+ أخبرتك أنه ليس إنسان، أقسم برأس (فرعون) أنه ملَك . كل ما فيه لا يشبه البشر، والغريب أن كُفرَه لم يمنع حبه عنّي .!

: مولاتي أنتِ تسلكين طريقاً شائكاً قد يكلفكِ الكثير.

+ أعلم ذلك وأخشاه حقاً، لكني أريد رؤيته مرةً أخيرةً أخبره فيها أنني أحبه، أحبه جداً، ثم أُبعده إلى حيث لا يعرف العذابُ طريقَه، أُحب له الحياة أكثر من قربه مني .

: لكن سيدتي، بدأ والداكِ يلحظان تغيركِ وشحوبَ وجهكِ، لقد سألتني والدتكِ عن الأسباب ووصّتني أن استفسر منكِ، ولا أجد ما أجيبها به، فبمَ أُخبرها في رأيكِ ؟

+ إياكِ أن تنطقي بكلمة مما أخبرتكِ، أرجوك (نانا) أنتِ الوحيدة بين كل من في القصر التي أسررت إليها بما في قلبي، أرجوكِ يا (نانا) لا تجعليني أندم .

: لكنها تنتظر الإجابةَ .

+ أخبريها أنني مريضةٌ، أو ....أو ..... أيَ شيء .

أي شيءٍ يا (نانا) غير (آمون)، أرجوك (نانا) لا تقتليني .

: أفديك بروحي مولاتي . أمركِ، سيكون ما تريدينه .

******

عندما جلس (آمون) فوق صخرته كان ينتظر، لا يعلم أى شيء ينتظر، لدرجة أنه نسى عدد الأيام، التي باعدت بينه وبين (ساهي)، تلك التي ولَّدت بداخله مجموعة الأحاسيس الغير واضحة، بالنسبة لمن في نفس عزلته .

لم ينسها قط، كانت الأولى - غير أمه - التي ائتمنها بإرادته الخالصة على كل حكايته، وهي الأولى التي حكى لها، كان مجرد الإحساس بأن هناك من يسمعه حين يبدأ حكايته إحساساً ممتعاً، والأكثر حين يكون من يسمعك يهتم لأمرِك . الحكى يُشعرنا بالحياة، خاصّةً حين تملك داخلك ما يُحكى، كانت عيناه تمثلان له (ساهي) في هيئة أمه، لكن قلبه كان يحمل لها حباً لا يشبه الذي ل(إيجى) .

مشاعره الملتهبة لا يمكن أن تفسرها كلمة أخرى غير "أحب"، لكنه لم يملك الشجاعة ليُعلنها، ربما لأنه يختلف عنها، وربما لم يكن يعرف الكلمة ذاتها، لم يكن يعرف أنها كلمة لن تظل أسيرة الصمت، ستتحرر أو تقتُل عشقاً، هي بشرية، فهل يمكن أن يحب بشريةً وهو المَلَك ؟

لمَ لا ؟ ف(آمون) لم يرَ ملائكةً قط . إننا لا نعرف إلا ما تقع عليه أبصارنا، وقد اختار الحظ أن تقع أول ما تقع على أجملِ وأرقِ إنسيَّة - (ساهي)- تلك التي اخترقت عزلته من دون قصدٍ أو ترتيب، هو القدَر.

بدأ يشعر بالوحدة من بعدها، رغم أن (إيجي) لم تزل تملك نفسَ القدر من الحب له، لكن حب (ساهي) لا يعوضه إلا حضورها .

غريب هو الإحساس بالحب . بدأ يُدرك أنه متنامي، لذا اختار أن يبتعد حتى لا يصل إلى مرحلة اللا رجوع .

اختار الانتظار كما أخبرته أمه التي صدَقت في كل كلامها، لأنه لم يستطع استعادة حياته الأولى الخالية البال، ربما يتَكشَّف انتظاره عن وجه لا يريد نسيانه .

******

كان الشحوبُ قد أنهى مهمته تماماً في وجه (ساهي) والتفت إلى باقي الجسد النحيل، لم تعد تستطيع إخفاء تعبها عن الأعين المتسائلة - أى سحرٍ قد مسّ ابنة الكاهن الأعظم ؟!!-

صار كل من بالقصر يتهامس دون علمٍ بالأمر، لم يتوقف الهمس حتى طفح الكيل بوالدتها (راميس) بعد أن عرضتها على كل الكهنة والسحرة .

: (ساهي) .

+ أمي .

: ما بكِ يا ابنتي ؟

+ لا شيء يا أمي، فقط متعبةٌ قليلاً، ليس هناك ما يدعوكِ للقلق .

: لم ينجح كاهن أو طبيب في شفائكِ، كبير أطباء (فرعون) ذاته أخبرني أنه ما من علَّة جسديّة، فهل في نفسكِ شيء تودين إخباري به ؟ أخبريني يا ابنتي . أنا أمك وتعلمين أنني أكثر مخلوقٍ يحبكِ في هذه الحياة .

+ لا شيء يا أمي، ربما تغيُّر الفصول .

: أنتى لا تعين ما تقولين يا ابنتي . أيُ تغيُّرٍ في الفصول هذا ؟!

أتعلمين في أي وقت من العام نحن ؟ لقد قارب الصيف على الانتهاء .

+ اعذريني يا أمي فأنا لا أستطيع الحديث الآن .

: لكِ فترة لاتجيبي أيَ شخصٍ عن أسئلته، تلك الأسئلة التي تنخر جدران قصر الكاهن الأعظم لأول مرة، وعلى يد من ؟ يد ابنته الحبيبة، أخشى أن يصل الهمس إلى أُذن والدكِ، عندها، أيَ مهربٍ يمكن أن تجدي من أسئلته ؟

+ إنكِ تضخِّمين الأمور يا أمي . أرجوكِ دعي الأيامَ تمر، وأقسم (بفرعون) الأعظم أني سأعود (ساهي) التي اعتادها الجميع، فقط امنحيني الوقت والراحة، لكن اعفيني الآن من الأسئلة فأنا لا أحتمل الجدال .

: أرجو أن تعود (ساهي) أسرع مما أتوقع، فإن أمراً عظيماً ينتظر والدكِ أن يحادثكِ فيه، وأنت تعلمين أي شخصٍ يكون الكاهن الأعظم، سيكشف سرَّكِ بمجرد أن يغوص في عينيكِ، لهذا تخلّصي من أسراركِ واستعيدي لمعة عينيكِ قبل أن تفضحكِ عينا والدك يا ابنتي .

غادرت مُسلِمةً ابنتها للحيرة والتساؤل .

+ أيُ أمرٍ عظيم ينتظر والدي أن يُفاتحني فيه ؟ هل وشَت بي (نانا) ؟ لا . لا أعتقد هي لم تفعلها من قبل، ستكون مصيبة لو فعلتها . لابد أن أراه مرةً واحدة أخيرة، أريد أن أراه قبل أن أُجَن .

******

قادته قدماه رغماً عنه إلى مكان اللقاء، حيث الصخرة التي اعتادا التسامر عليها سوياً، تحسسها براحته، رائحتها لم تزل تُعبِّيء المكان كله، كانت موجودة منذ وقت ليس بالكثير، كانت هنا تنتظر أن تراه مرَّة أخيرةً، كما يريد هو تماماً .

لا يعلم لمَ أرادها الأخيرة، رغم أنه كان يود لو عاش حياته إلى جوارها.

إحساسٌ كان يغتال خوفه من البشر رغماً عنه، لكنه أرادها الأخيرة بالفعل. في هذه المرة لم يكن ل(إيجي) أي صلة بالأمر، كان قد قررها أثناء انتظاره، لا لشيء سوى أنها بشرية .

كانت كلمات أمه تراوده - أنت شيء وهي شيءٌ آخر - قد يحب ملَكٌ بشرية، لكنه الحب فقط، لا شيء غير الإحساس الذى يغزو القلب من دون أي تداعيات أخرى، الحب بينهما سيتوقف عند لفظة الحب .

لم تكن موجودةً لكنه رآها في كل الأمكنة، استحضر روحها في مخيِّلته، قرّر أن يحمل قدر المتاح من حبها ويبتعد إلى ما لا نهاية، إلى حيث يبقى الحب دون خوفٍ أو انتظارٍ للمجهول .

******

لم يعد جسد (ساهي) يتحمل أكثر فانهار مُسْلماً إيَّاها فريسةً للحُمّى، لم تدرِ كم مرَّ من الوقت وهي محمومة، لكنها بدأت تسترجع وعيها شيئاً فشيئاً، فتحت عينيها بوهن شديد لتجد (نانا) جالسةً إلى جوارها تتابع كل لحظةٍ من مرضها .

: المجد (لفرعون) الأعظم على عودتك إلينا يا مولاتي .

+ ماذا جرى ؟

: أصابتكِ الحمّى، حار فيها الأطباء لأيام، لكن صلواتنا (لفرعون) أعادت الحياة إلى جسدك مولاتي .

+ لا أذكر شيئاً .

: انسي كل ما مضى يا مولاتي، لقد بُعثتِ من جديد . كانت يد الموت قريبة جداً لكن يد (فرعون) كانت أقرب .

+ أين أمي؟

: لم تفارقكِ لحظةً منذ مرضِك حتى أصابها الوهن فذهبت لترتاح قليلاً، لو رأيتي كم كانت متلهفةً عليك يا مولاتي .

+ هل علِم أحدهم بأمر (آمون) ؟

: سيدتي لتكن بداية جديدة .....

+ سألتكِ هل علم أياً كان بأمر (آمون) ؟

: سيدتي أستحلفكِ ب(الفرعون) الأعظم أن تنهي هذه القصة حتى لا تفتحى أبواب الجحيم عليكِ و .....

دخل (نف سور) والدها، وكبير كهنة (فرعون) إلى الحجرة، فأصابت الربكة (نانا) لحضرته، نهضت من جلستها ملقيةً عينيها في الأرض قائلةً :

- جلالة الكاهن الأعظم .

أومأ إليها برأسه فانصرفت، اقترب من ابنته التي حاولت أن تلملم ضعفها وتعتدل من رقدتها، لكنه ربَت على رأسها في حنانٍ أبوي، غاب عنها لفترةٍ ليست بالهيّنة .

: ارتاحي يا ابنتي .

أريدكِ أن تتعافي بأسرع ما يمكن، فأنا أحمل لابنتي الجميلة كل الخير.

+ الخير منك وإليك يا أبي .

: هذه (ساهي) التي أعرفها . (ساهي) التي تحب والدها أكثر من أي شيء في الدنيا . صحيح ؟

+ صيح يا أبى .

: ارتاحي الآن يا ابنتي، وغداً بعد أن أرى عينيكِ قد استعادتا بريقيهما، سأُسمعكِ أخباراً سعيدة . أراكِ بخيريا (ساهي) .

انصرفَ (نف) تاركاً ابنته للفكر والسؤال. يبدو أن الأمور سارت في مرضها على ما يرام، فوالدها لا يبدو عليه أياً من علامات الغضب . لكن كلمات (نانا) التي سبقته أعادت القلق إلى نفسها من جديد . إن شيئاً يحدث لا تعرفه . الغد ليس بالبعيد، لكنه بدا في نظرها أبعد من السماء عن الأرض - هيا فلتأتِ أيها الغد -

******

كان صوت صلوات (إيجي) يتسحّب عبر الصومعة ،يعرف طريقه رغم ظلام الليل حيث (آمون) الذي يستقر أمام موقدٍ أشعل نارَه، وانعكس اللهب على وجهه، ليمنحه جمالاً إسطورياً . لم يمنعه الحزنُ من أن يبدو فى عين القمر واضحاً جلياً.

كان يخط بعصاه فوق التراب خطوطاً لم يعيها ، عندما تأملها عَلِم أنه كان غائباً عن وعيه، فمحا كل ما قد خطَّه دفعةً واحدة، نهض من مكانه متجهاً إلى (إيجى) التي لم تزل غارقةً فى صلواتها.

كانت المرة الأولى التي يقطع صلاتها قائلاً

= أمي فلنغادر هذا المكان .

: كنت أشد حرصاً منك على تركه، ومن الوهلة الأولى، لكنه أمر الله يا ولدي .

= أمر الله أن يعذبني ؟!

: (آمون) ماذا تقول ؟ هل أطاح الحزن برشدك ؟ أنسيت من هو ربك أم كفرت به ؟

تدارك خطأه بسرعة وبدا الإرتباك واضحاً فوق شفتيه .

= أمي، إن هذا المكان يقتلني .

: ويقتلني أنا أيضاً .

= لأول مرة أشعر أن (النيل) غريب عليّ، لم أعد أرتاح لجلستي إلى جواره . لم يعد يلهمني الحياة كما كان، ربما واحدٌ منّا قد تغيّر لذا أريد البعد قبل أن ..... أن أفقده وهو أمام عيني .

: هذا لأنك تحب يا ولدي .

= أنا ملَك يا أمي، لا ينبغي لي أن أحب .

: ربما كنت أول من أخبرك بهذا، وربما كنت على خطأ. فلتعلم يا ولدي أن الملائكة هي من علَّمَت البشر الحب، لذا نصحتك بالابتعاد منذ البداية فأنا أعلم رقة قلبك . هل نسيت ؟ أنا التي ربَّتك.

= ولمَ لم تكبِّلي قلبي كما كبَّلتي أجنحتي ؟

: لو كان الأمر بيدي لفعلتها وأنت صغير، لكنه أمر ربك وهو لم يأمرني بغير أجنحتك ، بل وأمرني أن أفتح قلبك على حبه هو ، ألا يكفيك حب إلهك؟

= كنت مكتفياً به حتى وقت قريب إلى أن دفع بها أمام عيني .

: لأمرٍ لا يعلمه إلا هو. أعلم أنه ما إن فُتِح القلب فلا سبيل لمنع الحب من أن يدخله، صدقني يا ولدي لم يكن لي في الأمر يد .

= أصدقكِ يا (إيجي) وأرجوكِ أن تطاوعيني . هيا نلملم أشياءَنا ونرحل عن هذا المكان، الذي بدأت أكرهه .

: كم أود أن آخذك إلى أبعد مكان عن هنا لكني لا أستطيع، لم يأتِ أمرُ الله بالرحيل .

= إذاً صلي له يا أمي ، توسلي له أن يكفف آلامي ويتركنا نرحل عن هنا .
أتوسل إليكِ أن تصلي بكل ما أوتيتِ من الدموع.
: أفعلها في كل ساعةٍ يا ولدي..... أفعلها.
دع الأيام تأتي بما لا نعلم، فلربما حملت ما يريح قلبينا.
= أشعر أن القادم يحمل لنا قدراً من الخير.
أدار ظهره بعد تأكده من عدم جدوى التوسل للرحيل، تاركاً قلب أمه للرجفة والخوف، فلم تكن تصدق جملته الأخيرة مطلقاً.

******

البراءة المطبوعة في عيني (ساهي) أضعف من أن تواري أسرارها عن عيني والدها (نف)، كانت عيناها هي مدخل روحها وذلك شأن كل الأنقياء. لم يكن يستكشف جديداً. كان (نف) من ذلك النوع من الرجال الذين لا يمكن للأسرار أن تصمد أمام أعينهم الثاقبة طويلاً، بل تكشف هي عن نفسها راغمةً، أكسبه ذلك ذكاؤه الحاد وكهانته العليا لمعبد (فرعون) الأعظم، وربما في هذه الحالة..... حبه لابنته الوحيدة (ساهي) .
كان يعلم الأمر كله منذ بداية مرضها، إن كانت (نانا) قادرةً على أن تمنع وعيها من البوح، فقد نطق اللاوعى مع أول سؤال ألقاه (نف) على مسامعها .
: إبنتي الجميلة . أرى الشمس قد طلعت فوق جبينكِ مرّة أخرى.
+ بصلواتكَ لأجلي يا أبي الحبيب .
: صلواتي (لفرعون) الأعظم واهب الحياة والموت. صحيح ؟
قتلها السؤال
+ وهل يُصَلّى لغير (فرعون) الأعظم يا أبي ؟!!

: جميل.....جميلٌ جداً. والآن ألا تريد ابنتي الحلوة أن تعرف سري الصغير؟

+ أي سرٍ يا أبي ؟

: السر الذي وعدتك أنه سيجلب عليك السعادة بالأمس .

كانت جد خائفة، حتى أن فضولها لم يقدر على ذلك الخوف، فلم تنطق

: يبدو أن ابنتي قد أفقدها المرض فضولها الذي عوّدتني إيّاه. على كلٍ أنا من يريد البوح بسره لأحب المخلوقات إلى قلبي . ... (حور محب) .

كانت تعرفه، تعرفه تماماً، فقد كبرا معاً حتى أنهما اقتسما كل طفولتيهما وبعض الشباب سوياً، إلى أن أخذ موقعه في قيادة جيوش (فرعون) الأعظم تحت والده القائد الأكبر، لكنها نطقت مستغربةً

+ (حور محب) ؟!!!

: نعم يا (ساهي) (حور محب)، ابن قائد جيوش (الفرعون) . تعرفينه جيداً، كنتما أقرب الأصدقاء منذ الطفولة وحتى البلوغ .

صار شاباً يافعاً بارع الحسن، ومحط إعجاب (الفرعون) نفسه .

+ ومالي به؟

: حادثني والده في أمر زواجك من ابنه. هل تعلمين ؟ كدت أنسى أنك تكبرين أمام عيني . يبدو أنك ستظلين صغيرة في عيني والدك للأبد، وقد فضّلت أن أدعكِ تستردين بعضاً من عافيتكِ قبل أن أزف إليك النبأ السعيد أليس سعيداً يا (ساهي) ؟

إجترّ خيالها كل مادار بينها وبين (آمون)، وجهه يرتسم في عينيها، شديدُ الجمال، بارع الحسن، وغايةً في السِحر.

كرر والدها عليها سؤاله حين شردت منه

: أليس سعيداً يا ابنتي ؟

رسمت (ساهي) فوق ملا محها ابتسامةً باهتةً، لم يلبث والدها أن أدرك كذبها حين أجابت

+ بالطبع يا أبي . سعيد .

تجاوز جملتها المرتبكة

: ستون يوماً من الآن وحتى موعد الزفاف لتتجهزي، يريده (فرعون) الأعظم زفافاً أسطورياً، أنت تعلمين أنه لا راد لإرادة (فرعون)، لن تشهد بلادنا زفافاً مثله لأنه يجلُّني وأنا لا أعصاه أبداً . تسمعينني جيداً ؟ لا أعصى (فرعون) الأعظم أبداً يا (ساهي) .

بعد أن غادر (نف)، استعادت (ساهي) مشاعرها الطبيعية دفعةً واحدة، فلم تحتمل عينها وبكت بمرارةٍ شديدة، ربما كان أصعب بكاءٍ مارسته منذ أن عرفت الدنيا .

كانت تعشق (آمون) الذي يحتل كيانها ببساطة شديدةٍ وعنفٍ أشد، حين أعملَت عقلها وجدت أن زواجها سوف يبعد (آمون) عن حياتها للأبد، لكنه سيبعده عن حتفه، تمنت أن يكون أيضاً للأبد، لكن شيئاً في كلمات والدها كان يخيفها ويجبر الحكاية ألا تنتهي مع زواجها .

******

برقت عينا (فرعون) الأعظم حين استمع لكلمات (نف سور) كبير كهنته.

(فرعون) الذى سجدت له ممالك الأرض المعلومة وقتها يحوي في مملكته هو من لا يعترف به إلهاً، بل ويجروء أن يعبد من دونه آخر.

كانت الكلمات صاعقة له ربما لأنها المرة الأولى .

كان (نف) يعلم أنه يفتح في وجه (فرعون) باباً ليس من الحكمة أن يُعرَف ما وراءه، لكن حبه لابنته أجبره أن ينهِ المسألة ويقتلعها من الجذر قبل أن تحرق الجميع .

: ومن يكون أيها الكاهن الأعظم ؟

_ يُدعى (آمون) أيها العظيم، يسكن مع أمه المدعوّة (إيجى بتاح)، في صومعة على جانب (النيل)، ليست بالبعيدة عن قصرك سيدى .

: يعبدون إلهاً غيري ويسكنون بالقرب من قصري .!! شيءٌ جميلٌ أيها الكاهن، ومن يكون ذلك الإله الذي يشاركني في هذه الأرض ؟

_ يقولون أن إلههم يسكن السماءَ لا القصور ليس له شريك فيها، هو من أوجَد الأرضَ ومن عليها حتى ..... حتى (فرعون) الأعظم نفسه .

: يبدو أن هناك تقصير من رجال الدين في حقي لأجد بجوار قصري من لا يعبدني، ويعلنها .

_ أقسم بك أنت .....

قاطعه (فرعون) صارخاً بقسوةٍ لم تحمل قسماته مثلها من قبل، وموجهاً كلمته لقائد جيوشه (بتاح) .

: هل تعلم من إله غيرى يا قائد الجيوش ؟

* أبداً مولاى المعظَّم .

: صعدت فوق صرحي العظيم فهل رأيت إلهاً غيري يا كبير الكهنة ؟

_ كنت أنت وحدك أيها العظيم .

نظر إلى (بتاح) نظرة توقّف الدم معها عن السريان في عروقه

: ائتنى بهذين المخرفين حالاً مكبلين بالأصفاد، وإذا لم أرَ إلههما بعينيّ فلينجِهم من عذابي الأليم .

أقسم بعزّتي أنا إلهكم الأوحد، أن أجعل من يجعلونه إلهاً من دوني وفوق أرضي يبكي لرؤيتهم يصرخون من العذاب، وإيَّاك أن تتأخّر فإنّي منتظر.

* أمرك إلهنا الأوحد (فرعون) العظيم .

******

كان (آمون) سارحاً في أحلامه رغم النهار، فالنهار يملك أحلاماً كما الليل، لكن أحلام النهار أكثر قدرةٍ على التحقُق .

كان صوت (ساهي) أكثر الأصوات التي يحلم بسماعها، وعندما أتاه واقعاً أدرك أنه آخر الأصوات وقتها.

هبَّ من جلسته مدهوشاً .

= إنه صوت (ساهي) !!

كان الصوت يناديه بكل ما أوتي من قوة، وخوف

+ (آموووووون) .

بدأت صورتها تتضح في عينيه، تطير صوبه، فجرى نحوها من دون وعى .

= (ساهي) .

لم تصدق أذنيها حين سمعت صوت (آمون) مرّة أخرى، وربما أخيرة، حين تلقّفها من فوق فرسها كانت دموعها لم تزل تجري فوق وجنتيها .

+ (آمون). هيا اترك كل شيء وارحل مع (إيجي) .

= (ساهي) ماذا تقولين ؟

+ ليس هناك وقتاً للشرح .

جنود (فرعون) من خلفي قادمون لأجلك أنت، و(إيجي) .

= ذعتِ سري يا (ساهي) ؟

+ العتاب لن يفيد الآن يا (آمون)، هيا ارحل واترك كل شيء، هيا فالجند قادمون.

= حذرَتني (إيجي) أن البشر لا يكتمون سراً، حتى وهم يعشقون .

+ نعم بُحْت بكل شيء رغم حبي، هيا ولا تناقش، يمكنك أن تنعتني بأبشع الصفات لكن ليس في وجهي، فلا وقت تضيعه مع من باحت بسرك، يبقى الآن أن تبتعد عن هنا بكل ما أوتيت من قوة، أرجوك أن تحيا لأجل أمك التي حفظتك، هي الوحيدة التي لن تُسلمك يا (آمون) .

هيا ارحل . لم يعد لك مكان فوق هذه الأرض .

رغم الوجع الذي ولّدته كلمات (ساهي) بقلبه، إلا أنها كانت محفِّزة لكل ما فيه أن يبتعد، أول ما فكر فيه كان أمه (إيجي) .

منح (ساهي) نظرةً تحمل كل ما أراد قوله من دون كلمات فأمات روحها، ثم أطلق لساقيه العنان، أخذ يطوى الأرض طيّاً تجاه الصومعة التي تحوي أحب المخلوقات، وأبقاها إليه.

وصل الصومعة وأنفاسه تتهدّج، فتح الباب ليجد أمه ملقاة على الأرض، مقيدةً ومعصوبة العينين، ومن حولها ستةٌ من جنود (فرعون) يكملون المشهد الشديد القسوة .

صاحت (إيجي) بكل ما أوتيَت من قوة :

اجرِ يا (آمون)، اهرب يا ولدي . اهرب .

لكن (آمون) لم يجب طلبها، بل أجاب الأمر الذي يليه.

- اركع على ركبتيك، أو نقتل أمك .

"ركع (آمون) على ركبتيه مستسلماً، ومُسلماً كفيه للتراب .

- هيا انزعوا ملابسَه. أريده عارياً .

صرخت (إيجي) صرخةً تحمل كل الخوف من أن تنكشف الحقيقة، التى دارتها سنوات طويلة من عمرها، عمرها الذي وهبته خالقها عن آخره، و(آمون) .

:اهرب يا ولدي لن يُبقوا على حياتك إن بقيت، تستطيع الهرب يا ولدي، هيا افعلها لأجلي، لأجل (إيجي)، لا تدع شيئاً ينهيك .

= أموت وصورتك مطبوعة في عيني، خيرٌ من أن أموت بعيدا عنكِ يا أمى .

- انزعوا ملابسه وقيدوه إلى الحصان . أريد لِحُسن وجهه أن ينطفي قبل أن يركع أمام (فرعون) الأعظم .

عندما نزع أقرب الجنود إليه لباسه العلوي لم يمنع نفسه من أن يشهق، كان مشهد أجنحته المقيدة إلى ظهره مدهش بحق .

* يال(فرعون) العظيم .!!!! أي كائنٍ هذا ؟

إقترب قائدهم منه، وتأمل قيودَ أجنحته المهيبة .

- من تكون ؟

= (آمون) ابن (إيجي بتاح).

: اهرب يا ولدي أرجوك .

- ليس للبشر أجنحة يا هذا .

= خُلقتُ هكذا .

اقترب منه، وتحسس أجنحته .

- أى شيء تكون ؟!! كم جناح هم ؟

أمسك سكينه وقطع رباط أجنحته بحذر، فتحررت الأجنحة في وجه الجميع، أربعة أجنحة ضخمة شفافة، دبّت فيها الحياة، أو كانت تنتظر أن تحيا من جديد، ترى من خلفهم ضوء الشمس اللامع، وصفاء سمائها . تراجع

الجنود في خوف، وحذرٍ شديدين، تأملهم الجميع بمن فيهم (آمون) نفسه، رفّ بأجنحته لأول مرةٍ فتراجع الجنود أكثر. بدا وكأنه معجب بتلك الأجنحة التي غابت عنه لسنوات من عمره، فوجود الشيء لا يعنى بالضرورة إدراكه، لكنه أدركه الآن، وأدرك تلك الرغبة الملحة في إطلاقهم في وجه الشمس . في تلك الأثناء كانت (ساهى) قد وصلت إلى الصومعة، لترى المشهد الذي برقت عيناها لأجله، كان وجودها مصدراً آخر للدهشة بالنسبة للجميع . لِمَ تتواجد ابنة الكاهن الأعظم في هذا المكان ؟ وفي تلك اللحظة.

اقتربت منه مسلوبة الوعى، تحسست (ساهي) أجنحته برقة مندهشة، همست فى أذنه

+ طريا (آمون) لأجل (إيجي)، ولا تعود أبداً.

صرخت (إيجي) : طِرْيا ولدي . طِرْ إن كنت تحبني، موتي لن يقتلني لكن موتك سيقتلني آلاف المرات .

التفت إليها، راودته فكرة تحرير أمه لكن سن الرمح كان أقرب إلى عنقها منه، دار خلفه ليتقابل مع عيني (ساهي) .

: طِريا (آمون)، وابق حياً لأجلي، وأجل ربكَ .

كانت كلمات (إيجي) واضحةً وصادقة، صدقها (آمون) ، ارتفع في عيون الجميع وطار .... طار في عين الشمس أمام الكل بعد أن منح (ساهي) نظرةً حمّلها فيها كلَ ذنوبِ الأرض .

صاح أحد جنود (فرعون) لهول المشهد

* إنه ليس بشراً، إنه إله .

طعنه قائدهم في بطنه بسيفه علي الفور صائحاً

– اصمت أيها اللعين . ما من إله تؤسر أمه أمام عينيه .

سجد آخر في وجه الشمس فصاح القائد بنفس قسوة طعنته السابقة.

- قيدوا هذا الكافر إلى فرس واسحلوه حتى قصر إلهنا (فرعون) المعظم

تردد الجنود وهم يقيدون زميلهم إلى الفرس فقد بدا الأمر حقيقياً، حتى أنهم من الداخل ودوا لو أنهم فعلوها، فلم يُرَ كائناً يطير من قبل ولا حتى (فرعون) العظيم، لابد أنه حقا..... الله.

******

كان صوت صراخ (فرعون) بحق مفزعاً للجميع، تلبّس الشيطان وجهه العابس فبدا أشد قسوة، تأمل منظر (إيجي) الملقاة عند قدميه، وبقايا الجندى الذي سجد، وابنة (نف سور) .

: إذاً فابنتك تعشق من يكفر بي يا كبير كهنة معبدي ؟

لم تكن صلواتك هي ما أنبأتك بأن هناك من يعبد إلهاً غيري . كيف جرؤت على الكذب في عيني إلهك أيها الكاهن ؟

كان (نف) قد ابتلع لسانه عن آخره، فلم يجد ما ينطق به أمام اتهام (فرعون).

: وأنت يا قائد جيوشي . ألا تستطيع تربية جنودك ؟ وهم من كنت أظنهم في طاعتي حتى الموت.

حاول (بتاح)أن ينطق بأي عذر، حتى وإن كان غير مقبولاً لدى ا(لفرعون) .

_ مولاي .....

: أي مولى أصبحت أنا ؟ جنودي يسجدون لمن هو دوني أمام عينيك، بل وخوفهم مني لا يردعهم عن السجود، أي مبررٍ ستختلق يا قائد الجيوش ؟

يبدو أن الكهانة وقيادة الجيش تحتاج لرجال ثقات .

غرق (بتاح) في حرجه، ولم تطفُ كلماته فمات الكلام .

التفت (فرعون) إلى (إيجي)، وتأملها باستغرابِ من لا يجد مبرراً لأن تكون الساجدة أمامه أماً لإله . إنها لا شيء أكثر من بشرية مسكينة مرتمية عند قدميه في استسلام وضعف .

: إذاً فابنكِ إله مثلي . هل هذا صحيح ؟

أجابته في ثبات من لا يعبأ بالأمر كله :

- لم يكن (آمون) إلهاً قط، ولن يكون .

: غريب جداً، رغم أن هذا اللعين - مشيراً للجندي الذي سجد - ظنّهُ إلهاً وسجد له .

- فليظن ما شاء . أنا أعلم الناس بولدي، لم ولن يكون إلهاً .

: إذاً فأنتِ تعترفين ب(فرعون) إلهاً لكِ ولولدكِ .

- ليس هناك إله إلا الله .

ضحك (فرعون) ساخراً

: ذلك الذي يسكن السماء ولا نراه .

- ذلك الذي خلق السموات والأرضَ ومن فيهنّ .

أخذ (فرعون) يردد جملتها الأخيرة وهو يدور من حولها

: ذلك الذي خلق السموات والأرض ومن فيهنّ..... حتى (فرعون) الأعظم ؟

- نعم حتى (فرعون) الأعظم .

: يبدو أن إلهك لا يرى أنني إله مولود من صُلب إله .

- إنه يرى ويعلم كل شيء .

: إذاً فهل سيراكِ حين تذوب عظامكِ في الزيت المغلي ؟ هل سيرق قلبه لسماع صراخك وأنتِ تحترقين أمام عيني ؟ هل يستطيع أن ينجيكِ من عذابٍ أليم قدَّرته أنا عليكِ ؟

سحب سيفاً من غمد قائد جيوشه، ولوَح به أمام عينيها

: وهل سيمنعني أن أقطع رأس هذا الجندي الذي كفر بي الآن ؟

قطع رأس الجندى المتهالك بضربة سيف واحدةٍ أمام الجميع، فتدحرجت رأسه إلي قدم (إيجي)، التي أشاحت بوجهها، وصرخت (ساهي) حين لامستها بعض دمائه المنثورة .

التفت (فرعون) إليها متعجباً

: عفواً كدتُ أنساكِ أيتها العاشقة، عشقتِ من لا يعبد (فرعون) يا ابنة الكاهن ؟

ارتجف جسدها الضعيف، حتى كادت تسقط مغشية عليها

+ لم أكن أعلم أنه يعبد غيرك يا مولاى، وحين علمت ابتعدت قدر استطاعتي .

: حتى أنكِ طِرتِ لتحذريه من غضبي .

+ العشق ذنبى أما أنا فلا أعبد سواك سيدي .

: ألم يسحركِ معشوقكِ حين طار في عين الشمس ؟

+ لم يدّعِ أنه إلهٌ من قبل .

التفت إلى (نف) وقال ساخراً

: مازالت ابنتك تحتفظ بإيمانها الصادق، ذنبها الوحيد أنها وقعَت في العشق، ابنة الكاهن الأعظم تعشق عدو (فرعون)، يا لها من مزحة سخيفة، أيها الكاهن (نف) ليس لي أبناء ولا بنات، ولا أعرف قسوة الشعور بفقدان الابن . هل جربته من قبل ؟

لم يجروء (نف) على النطق

صاح (فرعون) في الجميع

: ابعدوهم عن ناظرى الآن حتى أستشير كاهني الأعظم فيما سيكون من أمرهم، فمازال هو الكاهن الأعظم .

ثم تابع : حتى الآن .

******

كان مشهد ارتفاع (آمون) إلى السماء أسطورياً، لا يمكن أن يخفيه السر كمشاهد كثيرة تحدث كل يوم. همسَ من بقى من جند الأسر في آذان رفاقهم ليلاً بكل ما قد حدث، وأقسموا برأس (فرعونهم) على صدق كلامهم ، في أقل من ليلة كان خبره قد ذاع في أنحاء (مصر) كانتشار النار في غابة جافةٍ، وعلم كل (المصريين) بأمره، صار أسطورتهم التي تحتل كل مجالسهم .

ذلك الغير بشري الذي طار في عين الشمس أمام الأعين الموجودة حينها، حتى أن صوتاً من بين الجموع صاح - أكيد أنه الله - .

ليلة واحدة استطاع الخبر فيها أن يتسلل عبر معبد (فرعون)، وكأن الحكاية تجري جريان (النيل) نفسه، حتى أن الكهنة تهامسوا فيما بينهم . - ماذا يمكن لذلك ال(آمون) أن يكون ؟- كيف صارت حكايته تسري بين الجموع بهذه السرعة المخيفة ؟ لابد أن شيئاً عظيماً سيبدأ ولن يتوقف إلا بإرادته .

حين تلوك الألسن حكايةً، فإن الكل يصوغها على هواه، حمّله الناطقون ما ليس فيه وصاغوا أسطورته حسب ما يعتقدون لا حسب الحقيقة؛ التي ضاعت حين فُتحت الأفواه ."

همس أحد الكهنة في أذن (نف)

: أخشى أن تسلب أسطورته ألباب المصريين .

أنت تعرفهم جيداً حين يؤمنون بشيء، حتى وإن كانوا هم صانعوه. لن يسامحنا (فرعون) إن علمَ بالأمر.

أجابه (نف) شارداً

- ولن نفلت إن حلَّ علينا سخطه، سيعلم كل شيء، يبقى شيء واحد فقط . ماذا سأقول له بعد أن يعلم ؟

******

تأمَّلت (إيجي)الجدران الصخرية الرطبة، التي تحوطها وتمنعها عن العالم . كانت قد أنذرت صوماً عن الكلام مع البشر، لكن صيامها لم يمنعها من أن تحدِّث قلبها عن (آمون)، هدية السماء التي صارت مصدر همِّها، كان هو ما يشغل كل بالها، لا تهتم لما قد يصير لها، المهم أن يحيا (آمون) بعيداً عن عين (فرعون)، ويده، وغضبته.

كانت تعلم أنه ابتعد، وربما كان هذا ما يبقيها على قيد الحياة حتى لحظتها، دعت ربها لو أنه لا يعود أبداً، لو أنه يرجع إلى السماء، لربما هدأت ثورة الأرض، و خوفها عليه .

******

لم يمنع باب الحجرة المغلق على (ساهي)، ولا انهمار دموعها، صوتَ صراخ (نف) في وجه زوجته، من الوصول إليها بكل ما يحمله من غضب، كادت جدران القصر تتشقق لصيحاته الغاضبة .

: أمَّنتكِ عليها حتى أفسدتيها علينا، وعلى (فرعون) . ألم يصلك همس كل من في القصر بأنها عشيقة ذلك ال(آمون)، حتى أنها مرضت بحبِّه ؟

بسببها سيهدم (فرعون) معبده فوق رؤوس كل كهنته وخدّامه، سيحل الشر على البلاد مع غضب (فرعون) ولن ينجُ أحد، ستطال غضبته الأرضَ و السماء .

منحتيها الحرية لتخرج بين الشعب حتى عشقَت ملعوناً منهم، سيُقضى عليَّ وعليكِ وعلى الجميع . إنها اللعنة تتلبَّسنا، وكل هذا بسببكِ أنت وابنتكِ الخاطئة .

******

جلس (فرعون) فوق عرشه، وكلَّه كِبر وخيلاء، يضع تاجه الذهبي، كأنه يُثَبِّت إلوهيَّته في عين كل من يراه، يثبت لكل من يراه أنه إلههم المقدس، لم تبدُ تلك النظرة الوحشيّة عليه منذ زمن الحرب، الذي ولَّى منذ سنوات، لكنها عادت لتؤذن بحربٍ جديدة، ربما يبدأها (فرعون) مع شعبه، الذي صيَّر (آمون) مقدساً بقلوبهم، رغم أنهم لم يعلنوها بألسنتهم حتى الآن، وهو لن ينتظر حتى يعلنوها .

دخل (نف) إلى حضرته، يدفع خجله أمامه، و خوفه بادٍ لإلهه .

: مرحباً بكاهني الأعظم (نف سور) .

- في خدمتك مولاي، وإلهي .

: توارد إلى سمعي، أن أمر (آمون) قد ذاع بين الدهماء والعامة، منذ الأمس .

- إنهم جهلاء يا سيدي، لا يجيدون إلا الكلام، ولا يَعون ما ينطقون .

: يمكن للسيف أن يسكتهم عن الكلام للأبد . أليس صحيحاً ؟

- تقتل شعبَك يا مولاي ؟!

: الكافرين بي منهم .

- لن يُنسهم السيفُ مشهد طيران (آمون) في عين الشمس مولاى . لقد ربطوا بينه وبين الشمس المقدسة، وإن أسكت السيفُ بعض الألسن، فلن يطفيء الشمس في عيون الباقين .

: هل جُننت أيها الكاهن ؟ ماذا تقول أيها اللعين في وجهي ؟!! إنك تمدح غريمى .

تحرَّج (نف) وهو يقول:

– عفوك سيدي ومولاى، أنا لا أقدر أن أفعلها، وأنت الأعلم بأمري، لكن قتل كل من آمن به مستحيل سيدي، سيفيض (النيل) دماً، فما تتحاكي به الألسن ليس بالهين على عقول العامة والدهماء .

- هل تعني أن واحداً مثل (آمون) أياً ما كان يستطيع أن يهز عرش إلهكم؟

- إذا أذِنَ لي إلهنا المُعظّم، فأنت تملك ما تخرس به الألسن من دون سيفٍ سيدي .

: سيدُك ؟ أى سيدٍ أكون بعد ما قد بُحت به في حضرتي أيها الكاهن ؟!!

- صدقني إلهى وإله الأرض جمعاء . الحل بين يديك من دون أي ضرر .

: وما هو ؟

- (إيجي) ..... (إيجى بتاح)، تلك التي يدعوها أمه .

: سأحرقها فى الزيت بعد ساعاتٍ وليستجب ولدها الإله لصراخها .

- ليس الآن سيدي.

: تجروء أن تأمرني ؟

- بل أصْدُقك النصح مولاى المعظّم .

: هات ما عندك أيها الكاهن . ماذا تقصد ؟

- أعترف أنى أخطأت في تربيتي لابنتي (ساهي)، وأعرف أنها تستحق أن تُحرق في الزيت من قبل (إيجى)، وأعلم أن كرمك ورحمتك هي ما تبقيها على قيد الحياة إلى الآن، لكنك برحمتك سيدي أبقيت على السلاح الوحيد، الذي يُمَكِّنك مولاي من ضرب ذلك ال (آمون) في مقتل .

بدا الانتباه على ملامح (فرعون) وهو يسأل

: وما هو أيها الكاهن ؟

- عِشْقها له يا مولاي، وعشقه لها، هذا ما يشيع بين العوام .

: وبَعْد ؟

- مُر بإعلان زواجها المرتّب ل (حور محب) إبن قائد الجيوش، وقرِّب موعده قدر المستطاع .

اعلن أن الإله العاشق لن يستطيع منع حبيبته من الزواج بغيرِه ثم قدِّم أمه (إيجي) قرباناً فوق مذبحكَ؛ وأمام الشهود جميعهم أثناء الحفل، وعندها .....

سرح (فرعون) في خاطره وهو يردد

: إله لا يستطيع حماية أمه من أن تُحرَق قرباناً ل(فرعون) الأعظم؛ في حفل زواج حبيبته .

أي إله يكون هو ؟!!

شقّت ابتسامة المنتصر طريقها إلى شفتى (نف)، بينما تابع (فرعون) بصوت جهوري سرى في كل البلاد عبر طرقات قصره المنيف .

: اعلنوا في البلاد كلها خبر الزفاف على شرف الإله المزعوم، عندها سيسقط (آمون) من سمائه .

أو يطلع علينا من جديد، وعندها – ضاحكاً - سأثبت للجميع أنني أنا الإله الواحد من دون شريك .

******

لم يعلم (آمون) كم من الأميال قطعها في طيرِه، ترك (النيل) وراءَه وابتعد حتى لم يعد (للنيل) وجودٌ من خلفه، لم يكن الإجهاد ما أجبره أن يحطَّ فوق إحدى القمم الشاهقة، وإنما رغبته في ألا يبتعد أكثر.

حين حطَّ اجترّ كل ما قد حدث في رأسه فثار كل ما فيه، حتى أنه جمَّع ثورته فى قبضة يده وضرب الجبل بها، فاخترقت يده الصخر الصلد واهتزّ الجبل من تحته .

تأمل قبضته مدهوشاً، لم يكن يعلم أنه يملك مثل هذه القوة، ولم يتركه ماضيه يستخدمها من قبل .

كانت يده سالمةً من دون أذى، رغم علمه أي فعلة قام بها . تولّدت طاقة هائلة كانت كامنة فيه منذ أن وُجِد، سمح لها أن تجتاحه كله لأول مرةٍ ففاضت على ما حوله، تحسس صدره القوى، انفردت أجنحته في وجه الشمس فبدا مهيباً عظيماً، صرخ صرخةً حمَّلها كل ما يعتمل فيه من ألم وقوة .

= (إإإإيجى).....

لم تلبث قواه أن خانته فارتمى فوق الجبل وغطَّ في إغماءةٍ طويلة .

لم يتوقع (آمون) أن تأتيه (إيجي) بمثل هذه السرعة .

هي لا تملك أجنحته، ولا قوته، نهض فزعاً حين رآها أمامه .

= (إيجي) !!!

ابتسمت في وجهه فأنارت دنياه

: كيف حالك يا ولدي ؟

= أموت من دونك .

: لا يا ولدي أريدك أن تحيا لأجلي .

التفتت لتغادر

= إلى أين أنت ذاهبة يا أمي ؟

: سآتيكَ كل يوم في مثل هذا الوقت .

= لا لن أدعكِ ترحلين بعد أن وجدتكِ ثانية .

:إن كنت تحبني ابتعد ولا تفكر حتى في البحث عني .

اقتربت منه وأمسكت رأسه بين كفيها .

: عدني يا (آمون) من أجلي .... من أجل أمك التي تحبك .

= أعدكِ يا أمي .

: لن أتأخر.....كل يومٍ في نفس الموعد .

= سأنتظركِ .

قبَّلت الضى في جبهته فانتفض (آمون) من غفوته، فأدرك أنه كان حلماً، عندما تلفت فى كل ما حوله لم يجد (إيجى)، لكن ما استغربه حقاً أنه كان لا يزال يشعر بقبلة أمه مطبوعة فوق جبينه .

داربعينيه في كل الاتجاهات وهو يكرر

= لقد كانت هنا ..... كانت هنا .

******

ذاع خبر زفاف (ساهي) في كل شبر من أرض (مصر)، ليس لأنها ابنة الكاهن الأعظم وإنما لأنها حبيبة (آمون) .

علِمَ الجميع المغزى من هذا الإعلان وفي هذا الوقت بالذات، تحاور (المصريون) فيما بينهم .

: هل تعتقد أنه سيتركها تتزوج وهو الذي يعشقها ؟

- بل هل سيترك أمه قرباناً تحت قدمي (فرعون) الأعظم ؟

: سيفعلها (الفرعون) ولن يمنعه أي شيء من أن ينفذ إرادته، لن يترك إلهاً آخر يزاحمه عرشه .

- أتوق لمعرفة القادم، أما الآن فليس علينا سوى الإنتظار.

: سيكون مشهداً رائعاً، لقد فُتِح القصر على مصراعيه أمام الشعب المصرى .

- وأنا أول الحاضرين .

: لا يهمني من يسقط ومن يعلوا، المهم تلك الوليمة التي أعدها (فرعون) لشعبه على شرف زواج ابنة الكاهن الأكبر؛ وابن قائد الجيوش .

- سأُحرِّم الخمر على نفسى يومها، حتى لا تفوتني لحظةٌ من المشهد .

: أما أنا فسأُتخم بطني، حتى لا أعود أرى شيئاً .

ضحك الاثنان فلم يستغرب من حولهما، الجميع ملتفون حول نفس الشيء منذ البارحة .

******

لم تكن (راميس) من ذلك النوع من النساء اللاتي يملكن في صدورهن كتلة رقيقة تُدعى القلب، فقد تطبعت بطباع (نف) زوجها كبير الكهنة .

لم تحمل في عينيها نفس القدر من الذكاء، لكنها كانت تملك نفس القسوة الظاهرة في العيون، بل ونفس كلماته الباردة حتى مع أقرب الناس إليها، ابنتها (ساهي) .

: بقى تسعة وعشرون يوماً على زفافكِ .

+ مرّ يومٌ واحدٌ يا أمي .

: غريب ألا تشعري بقيمة كل يوم تبقينه على قيد الحياة من الآن . فلتُقبلي قدمَ والدكِ الكاهن الأعظم الذي ألهمه عقله الحكيم مثل هذه الفكرة، لينجيكِ من غضبة (الفرعون) الأعظم .

+ أدعو له في كل صلواتي .

ضحكت ساخرةً

: وأي صلواتٍ ؟ تلك التي (لفرعون) أم ذلك المدعو (آمون) ؟

+ لا أعرف إلا صلاةً واحدةً هي (لفرعون) .

: يبدو انه ما زال برأسكِ شيئاً من العقل حتى الآن، عليكِ أن تدركي أهمية الوقت من اللحظة وحتى زفافكِ، مرّيومٌ وموعد الزفاف ليس بالبعيد.

نادت (نانا) فجاءتها مهرولةً .

- أمركِ سيدتي .

: هيا لتبدأوا تجهيزها للعُرس من الآن . خذوها واغمروا جسدها في الماء المقدس علَّها تخلُص من لعنة الشيطان التي مستها .

- أمركِ مولاتي .

منحت ابنتها نظرةً قاسية وانصرفت تاركةً الفرصة ل(ساهي) كى تُفلِت دموعها، حاولت (نانا) أن تربت على كتفها مواسيةً، ازاحت (ساهي) يدها بقسوة صارخة فيها

+ ابعدي يدكِ اللعينة عني، أنتِ من بدأها، لا أريد أن أراكِ بعد اليوم .

تراجعت (نانا) مرتعبة وآسفة أيضاً، أما (ساهي) فقد انخرطت في بكاء شديد .

كانت تعلم أن (آمون) بعيد، لكنها كانت أكيدةً من أنه سيعود لنهايته، ليس لأجلها وإنما من أجل من أحبته ولم تؤذه، من أجل (إيجي) . لقد تحررت أجنحته أمام عينيها ليبدأ النهاية التي أخبرها هو بها من قبل .

******

مرَّت الأيام على الجميع بطيئةً كسلحفاةٍ عجوز، الوحيدةُ التي كانت تشعر بسرعتها (ساهي) فقط، كانت تمر عليها مرّ الريح، لحظات تنقضي من دون وعي، بقي عشرون يوماً ويبدأ الحدث الأعظم في كل البلاد، لم يكن لشخصِ مَن فيه وإنما لأنه كان تحدياً بين ألوهية (الفرعون) الأعظم، وذلك ال(آمون) المجنح .

عشر أيام انقسم فيها الشعب إلى قسمين يتفقان في انتظار السقوط، الأول يتوقعه (للفرعون)، والآخر ل(آمون)، وكأنه رهان كبير أطرافه الآلهة، أو أشباههم .

دار الحوار بين (فرعون) وقائد جيوشه (بتاح).

: هل تعتقد أنه سيأتي يا قائد الجيوش ؟

- حتى وإن أتى يا مولاي فسيأتي لنهايته .

: لن أتحمل منك أيها القائد خطأً آخراً . وقتها .....سيكون الأخير.

تلعثم (بتاح) وهو يقفز فوق جملة (فرعون)، ويتخطاها

- مولاى المعظم . إن (آمون) نفسه لم يعلن أنه إله، ألا تذكر كلمات أمه . وهل يجروء أن ينطقها، وعلى الأرض إلهها ؟

: وهذا ما يحيرني يا (بتاح)، ماذا قد يكونه إذاً ؟ ما هذا الكائن الذي يملك أجنحة تطير به في عين الشمس وترفعه في السماء ؟ حتى وإن لم يصرّح، يستحيل أن يكون بشرياً .

هل تعلم يا قائد الجيوش ؟ لقد أمرت كهنتى العلماء أن يخلقوا لي مثل تلك الأجنحة لأرتفع بها فوق الأرض . يبدو أن إلهك دبّت في نفسه الغيرة يا (بتاح) .

كان (بتاح) يدرك شعور (الفرعون) جيداً، فهو من أقرب الناس إليه ومن السهل أن يتبيّن ذلك القلق الذي يعتمل في عقله، فأراد أن يريحه.

- إن كان الهاً مثل (فرعون) المعظم لا يملك أجنحة فلابد أنه شيطان من يملكها يا مولاي .

كانت كلمة (بتاح) هي الضالة التي وجدها (فرعون)، منذ أول لحظة ظهر فيها (آمون) أمام الأعين .

: شيطان ؟ ..... نعم شيطان . إن لم يكن إلهاً وهو لم يعلنها، فإذاً هو شيطان، لقد هرب من بطشي ..... نعم هو شيطان، فالشيطان لا يهرب إلا من إله، وأنا إله .

طال الفرح قلبَه وضحك قائلاً

: نعم أيها القائد، لي عمرٌ لم أسمع منك قولاً أجمل مما قلته الآن . (آمون) هو الشيطان وحين يسقط في قصري سيرى الشعب كله كيف سيغلب الله الشيطان اللعين، سأصور كل ما سيحدث على جدران معابدي ، سأنحته في صخر الجبال لأبقى الله الذي كسر الشيطان إلى الأبد .

******

كانت (ساهي) متأكدة أن جسدها لن يجوز إلا لاثنين، (آمون) أو الموت، كانت ترفض أي شيء عداهما، رغم استسلامها تماماً لوصيفاتها في المسبح المقدس، يغمرونها بالماء ويمسِّحونها بالزيت الكهنوتي المقدس، كانت تعلم أن أمراً عظيماً تحمله الأيام القادمة . أمرٌ أكبر من زواجها ب(حور محب)، والذي لم تكن لتتمنّى أفضل منه يشاركها أيامَها لولا أن ظهر (آمون) بدنياها.

وفي الجانب الآخر، كانت ذكرى (ساهي) تذبح (آمون) بكل لحظة . تلك التي أسلمته للنهاية، عندما برد دمه اكتشف أنه لا يستطيع أن يكرهها .

كانت أحوالها تقلقه إلى الحد الذي لم يستطع طيف أمه الذي صدقه الوعد كل يومٍ أن ينسه إياها.

كان الانتظار الذي يحياه فوق جبله المختار ليحط عليه مكوّن من مكونات شخصيته التى فطمته (إيجى) عليها . فهى لم تمنحه أبداً القدرةَ على البدء في أي شىء، كانت هي الحياة كلها، وهي بداية كل شىء، لذا لم يكن يدري أي خطوةٍ عليه اتخاذها، لكن فطرته فرضت عليه إنتظار القادم . فقط الإنتظار.

******

لم يعد للأيام حسابها، فلم تعد (إيجي) تعبأ بمرّها من خلف الجدران، المهم أن حبيبها (آمون) لم يزل سالماً، بعيداً عن أعينهم . كانت على وعدها تزوره كل يوم في نفس الميعاد، كانت تترك روحها تتخطى الجدران الباردة، وتحطُّ حيث يصلى فوق الجبال، كانت تسمع صلواته لأجلها، وتصلي لأجله . وفي إحدى غفواتها جاءها الرسول .

- سلامٌ عليكِ يا (إيجي) .

: عليكَ السلامُ أيها الملَك . طال انتظاري لمجيئك أيها الرسول .

- ليس الأمر بيدي يا (إيجي) إنني مأمورٌ، أتيكِ حين يُحَمّلنى ربكِ رسالةً .

إنه يعلم ما قد حلَّ بكِ وولدكِ ويخبركِ أن جزاء صبركِ على البلاء هو الجنة .

ابتسمت مرتاحةً في نفسها وسألته

: و(آمون) ؟

- (آمون) بمأمنٍ من كل شرٍ إلا واحداً .

: أنا افديه بنفسي .

- ربما كان الشر منكِ أنتِ يا (إيجي) .

: يا ويلي .... الشر مني أنا ؟!!! لمن ؟ ل(آمون) ؟ يعلم ربي كم أحبه وأخشى عليه مسَّ النسيم .

- البشر يتغيرون يا (إيجي) .

: إلا الأم .

- لستِ أمه وأنتِ تعلمين .

: لكنّي.....

- حاولي أن تحافظي على شعور الأم إلى النهاية يا (إيجي) . ابقي أماً له فيسلم (آمون) من كل الشرور، حتى ..... شرُّكِ أنتِ.

اختفى من بالها ففتحت عينيها مدهوشةً . كانت كلمات الرسول واضحة لا تحتاج أي تأويل، نظرت إلى أعلى تسأل ربها .

: إلهي كيف يكون الشر مني إليه وأنا أكثر من يحبه في هذه الدنيا ؟ أقسم ألا أتردد في قتل نفسي إن كانت تحمل شُبْهة أذى ل(آمون) فتُغضبكَ، أقسم أن أقتلها .

كانت تعلم جيداً أن أمر قتل نفسها ليس بيدها، فبكت بكاءً مريراً .

******

لم تكن قارة (أطلانتس) وهماً كما يعتقد الكثيرون بل حقيقة . ازدهرت حضارتهم لمئات السنين في قلب المحيط، تلك اليابسة التي اختارتها السماء لتقوم عليها أقوى الحضارات الإنسانية على الإطلاق، لم يكن (الأطلسيون) بحاجة للأرض، فقد كانت أرضهم تكفيهم وتفيض، كانوا يتعاملون مع الباقي من الكرة الأرضية على أنها هامش الحياة، يسكنها البدائيون، وظلوا يهمشون البدائيين جيلاً وراء جيلٍ حتى نسوهم تقريباً، ونسيهم أيضاً الآخرون .

كانت حضارتهم مترفِّعةً عن العنف والقسوة البشرية المعروفة عن البدائيين، وكأنهم درسوا سلوكهم البدائي وعالجوه في أنفسهم، لذا أغلقوا عليهم قارتهم واختاروا البناء، فكان لهم ما أرادوا من رفعةٍ وتقدم .

كانت بدائية من يحيون على باقي الأرض تكفيهم شرهم، فما من سبيل للوصول إليهم عبر ماء المحيط المنيع، إلى أن اختارت السماء أرضهم لتنفصل عن باقي الكرة وتصير قمراً . اهتزَّت الأرض من تحت أقدامهم وتهدمت حضارة كلّفتهم مئات السنين في لحظات، غرقوا في الماء وارتفعت أرضهم أمام أعينهم إلى السماء بكل ما عليها تاركةً إياهم إلى قاع المحيط .

بقي من بقي، وغرق من غرق ، لكن من بقي منهم كان يحصى بالملايين، عندما حطَّ أول فوج منهم على اليابسة تحسسوا ثباتها في حذرٍ شديد حتى تأكدوا من سلامتها، توافد الملايين من الماء إلى شمال غرب (إفريقيه) .

كان أول ما صنعوه تمثالاً ينتصب في وجه المحيط ليقيهم شر هياج مائِه، كان تمثالاً ضخماً من الحجر لإلههم الأعظم (لاهان) .

سجدوا جميعاً وشكروا له أرضهم الجديدة، دعوه أن يثبِّت الأرض من تحت أقدامهم، ثم عاودوا البناء علَّهم يلحقوا ما قد فاتهم .

كانوا بشعورهم الشُقر وعيونهم الزُرق وأجسامهم العظيمة لا يشبهون من يسكنون الشمال حينها، كانوا يدركون بدائيتهم، حاولوا أن يتجنبوهم، لكن اللقاء كان حتمياً، وأيضاً الصدام.

إصطدم (الشماليون) و(الأطلسيون)، لم يختر (أبناء الماء) - كما سمَّاهم سكان الشمال - الحربَ، لكن سوء تقدير أهل الشمال لخصمهم أرغم (أبناء الماء) على الدفاع عن وجودهم ورغبتهم في البقاء، صمدت الأسوار بينهم وبين أهل الأرض الأصليين قليلاً، فالوقت لم يمنحهم ما يكفي، لكنها سقطت وتقابل الفريقان.

بعد أول حرب تطبَّع (ابناء الماء) بطباع غيرهم من البشر، وكأن الدم حين يسيل في الأعين يشعل فتيل القسوة بالنفسِ، علموا أنه لا حياة لهم بأمانٍ فوق هذه الأرض إلا أن يزول الشكل البدائى للبشر. كانوا يجرفون الأرض جرفاً بأقدامهم القوية الواثقة تحت راية قائدهم (مارون)، الذي نادى فيهم أن - طهّروا الأرض مما عدانا، ولا تبقوا عليها من أحياء لنأمن شرهم - فقد أرادوا أن ينهوا الأمرَ سريعاً، ليستعيدوا حضارتهم التي أجلتها الحرب.

زحفوا من الغرب وحتى (ليبيا)، ماحين كلَ ألوان الحياة من كل شبر داسته أقدامهم، كانوا يستخدمون ناراً حمراء مرعبةً أهلكوا بها أعداءهم دون تمييز، حتى وصلوا إلى حدود (مصر)، كانوا قد نسوا عدد الأميال التي فاتوها من ورائهم، فأشار (مارون) إلى شعبه أن استريحوا الآن حتى يأتيه أمر (لاهان) معبودهم بإكمال المسير. مسيرة التطهير التي أُرغموا عليها رغم قسوتهم الظاهرة.

نزح من نجا من مذابح ومحارق (ابناء الماء) باتجاه الشرق، لاجئين إلى أرض (فرعون) المعظم، الوحيد الذي ظنَّ الباقين أنه يقدر على وقف الزحف المائي ولو حتى كذباً.

كانت الوجوه منحوتةً من خوف وفزع شديدين، لا تحتاج سوى نظرة فيها ليشيع الرعبُ بين المصريين، حتى ظن أبناء(مصر) أن (ابناء الماء) ليسوا بشراً .

روايات النازحين جد مفزعة، مصبوغة بلون الدم والموت، إلى أن وصلت تلك الحكايات إلى بلاط (فرعون) المعظم، نادى قائد جيوشه وكبير كهنته ليستبين الأمر.

: ومن يكون (أبناء الماء) يا قائد الجيوش ؟

تحرَّج (بتاح) في إجابته

– لم يصلنا عنهم إلا روايات مولاي العظيم .

: وماذا تقول رواياتك أيها القائد ؟

- إنها إلى حدٍ ما ..... وحشيَّة .

: وحشيَّة ؟! وحوش يعسكرون على حدود مملكتي ولا أعلم عنهم شيئاً، أليس غريباً أن يظهروا فجأة بمثل هذه الأعداد الكبيرة ؟

- لقد أعددت العدة لصدهم يا مولاي، جنود (الفرعون) العظيم في أشد حالات التأهب، والجاهزية .

: جيوش (فرعون) المعظم تتأهب للقتال و(فرعون) نفسه لا يعلم ؟ أي مزحة سخيفة تلقيها عليَّ أيها القائد ؟

- كان لديك ما يشغلك مولاي ولم أُرِد إقلاقك .

: أي شيء يشغلني عن مُلكي وأرضي أيها المخبول ؟ ذلك المجنَّح (آمون) ؟ أرضي على حافة الاجتياح من دون علمي، أقسم أنك قد جُننت . من أين أتى هؤلاء القوم ؟ وكيف نزحوا إلى حدود مملكتي ؟

- الروايات تقول أنهم أتوا من المحيط، نزحوا بالملايين إلى اليابس، كل همّهم هو القضاء على أي شكل من أشكال الحياة، ولم يُفلتوا حياً في طريقهم إلينا .

: هذا يعنى أنهم لن يتوقفوا أمام حدودنا طويلاً .

- جيشنا أعظم الجيوش على الإطلاق مولاي، وقد أعددتهم بنفسي لصد زحف (أبناء الماء) .....

قاطعه (فرعون) صارخاً فيه

: هراء ..... هراء كل ما أسمعه منك هو هراء، هل ستنتظرهم عند (النيل) أيها القائد ؟ أو أمام قصري ؟

- لا يمكن أن أبعثر جنودي في مساحات شاسعة، فهم أكثر عدداً وعدّه، إنهم بالملايين يا مولاي .

: ملايين يقفوا على بابي، وأنا مُنتظرٌ أن يدقوا الباب .

التفت إلى (نف)

: هل لديك حل أيها الكاهن الأعظم ؟

كان الموقف قد أنساه وجوده أصلاً فى المشهد

* مولاي نحن نصلي .....

قاطعه (فرعون) وصوته قد استحال إلى صراخ

: كلكم مخابيل، محاط أنا بمجموعة من المخابيل كنت أظنهم حكماء . أيها الحراس أمِّنوا القصر بكل جندي فوق أرض (مصر)، اغلقوا الأبواب ولتتوقف مظاهر الحفل إلى الأبد .

******

تفجَّر الخوف في نفوس (المصريين) كلهم بعد أن وصل مبعوث (ابناء الماء) اليوم التالي، يشبههم تماماً، لكن شيئاً في لمعة عينيه بدا مستغرباً، كان رافعاً رأسه إلى السماء، في كِبر يعلوا كِبر إلههُم، حتى أنهم شكُّوا في قدرة (فرعون) على دحضهم كما يشكُّون في قدرتهم على عبادة ذلك الضعيف بقصره .

كانت الرسالة منتقاة الألفاظ بعناية (أن سلموا أرضَكم، وعيشوا عبيداً تحت راية (مارون) الكبير، أو نمحوكم أنتم وآثاركم من فوق الأرض).

في أي حالٍ آخر كان الجميع يعلمون ردة فعل ال(فرعون) على مثل هذه الرسالة، لكن (فرعون) لم يأمر أبداً بقطع رؤوسهم حتى وهم يجرفون حفنةً من التراب إلى سرج خيلهم؛ وينطلقون .

كانت الرسالة قاسية لدرجةٍ بثَّت الرعب في قلوب جند (فرعون) أنفسهم، زاد من قسوتها تلك الروايات المتتالية من ناحية (ابناء الماء) إلى أرض (مصر) عن مدى وحشيتهم وشراستهم،التى لم تكن من أصلهم . كانوا يدافعون في البدء عن بقائهم والآن يرفضون وجود غيرهم .

بدأ (المصريون)يتحدثون فيما بينهم .

: لن ننجوا أبداً حتى وإن سلمناهم الأرض ورضينا أن نعيش عبيداً فيها .

- إنهم يقتلون كل ما تطوله أيديهم، يسلخون جلود البشر أحياء ويحتسون فى جماجمهم الخمر، إنهم وحوش .

: ليس لنا أمل سوى بالرحيل عن (مصر) .

- لدينا الوقت لنفعلها، عن نفسي سوف أُلملم أشيائي وأفلت بأبنائي، سأرحل عبر(سيناء) ولتحترق (مصر) و(نيلها)، و(الفرعون) أيضاً .

: هيا إنهم على المشارف علينا أن نفلت بأرواحنا . لم يبق لنا شىء في (مصر) سوى الموت، لن يكفينا لا (فرعون) ولا (آمون) شر(أبناء الماء).

شدّة الاحتياج يمكن أن يصنع أبطالاً، وقد حدث بعد أن فقد (المصريون) ثقتهم في (فرعونهم) الذي ترك رسُل (أبناء الماء) يذهبون أمام عينه؛ مانحاً رؤسهم الحياة رغم تهديدهم له واستقطاعهم من أرض (مصر) أمام الحاضرين .

بدأت سيرة (آمون) تعود وتعلو، ربما لأنه لم يكن موجوداً وقتها، ورغم قناعتهم الكاملة بأنه لا سبيل للنجاة من بين براثن (ابناء الماء) إلا أن بعضهم كان يملك بقية رجاء في ذلك المجنح (آمون)، بل أقاموا له الصلاة خارجين على (فرعون) المُعظم، ونقشوا اسمه على أبواب منازلهم .

لم يكن الحوار السابق بين اثنين من (المصريين) فقط، بل كان حواراً بين غالبية (المصريين)، أعلنوها صراحة - الهرب من (مصر) هو السبيل الوحيد -

حتى جُند (فرعون) ،انسلّ عددٌ ليس بالقليل من بين صفوف الجيش، تاركين كل شيء من ورائهم، فلا شيء بعد الروح يمكن للإنسان أن يُبقى عليه، ولا شيء بعد الخوف يمكن أن يفر منه إنسان، حتى أن ثقة الجنود الباقين اهتزَّت بشدة وباتوا أكيدين أن صفوفهم لن تصمد ساعةً واحدة في وجه (ابناء الماء) المتوحشين، كل الأمارات تؤكد هذا .

تحسس (فرعون) عرشه وقد أصابه الرعب إلى حد المس، لم يعد جنده كافين لدحر سيرة (آمون) التي عادت،وزاد أتباعها، يعلم أنه شيئاً فشيئاً سيتجرأ عليه الناس و سيسقطون إلههم إذا ظلت الأمور في نفس طريقها .

: إنه عرشي، عرش (فرعون) الأعظم، مازلت إلهكم أيها (المصريون) ولن يسلبني العرشَ أي مخلوقٍ ولو كانوا (ابناء الماء) .

هيا فلتأتوا إلى نهايتكم، ستكون هنا فوق أرضي أنا إله الأرض والسموات، عندها سأحرق كل من تجرأ ونادى ب(آمون) إلهاً في الزيت المغلي.

كرسي العرش يملك سراً يمنح الجالس عليه شيئاً ويسلب الراحل عنه شيئاً، وبين رحلة الجلوس والرحيل استعداد تام للتضحية بكل شيء ولو بالنفس، ربما أنها أشياء لا يعيها إلا مُريديه وقلةٌ ممن لا يريدونه .

دخل (بتاح) إلى بلاط (الفرعون) منزعجاً للغاية

- سيدي . منحونا إسبوعاً وبعدها سيبدأون الزحف .

: سيبدأون الزحف ؟ جهز الجيوش .

- سيدي إن شعبك يهرب عبر (سيناء) تاركاً كل شيء وراءه .

: إقتلوهم . إقتلوهم كلهم .

- حتى جنود (فرعون) المعظم، عدد ليس بالقليل منهم انسحب من الصفوف ورحل مع باقي الشعب، إن البلاد نفرغ من أهلها .

: كيف تركتهم يرحلوا أيها المخبول ؟

- أعدادهم كبيرة يا مولاي، ستكون مذبحة لا قِبَل لنا بها في الوقت الراهن إن اعترضنا طريق الفارين . نحن لا نتحمل حرباً أخرى مع الشعب .

: يوجد بأرضي ما يكفي ليُضحي من أجل إلهه .

- الكثير منهم يقيمون الصلاة لذلك المجنح (آمون) لعل النجاة تكون بيديه .

: ذلك الشيطان اللعين . أي جحيمٍ ألقى به فوق أرضي ؟

- لم يعد لنا من سبيل سوى الرحيل يا مولاي .

: أهرب ؟..... وأترك عرشي ؟

- نهرب قبل أن نُقتل يا مولاي، نفلت بأرواحنا وبعدها يكن ما يكون .

: لا لن يحدث ذلك أبداً، لن أنزل من فوق عرشي أبداً وليذهب الكل إلى الجحيم، لتحترق (مصر) وشعبها و(نيلها)، ولتحترق أنت أيضاً، أنا الله . (فرعون) الأعظم سيبقى إلهاً إلى الأبد ..... إلى الأبد .

******

كان (آمون) بمنأى عن كل الجاري في البلاد، لا يشغله إلا صلاته وطيف (إيجي) الذي لم يتأخر في زيارته ولو مرة، كان يشعر بالسلام مع كل شيء كما كان من قبل، بدأ تطهير روحه من كل ما حدث، حتى (ساهي) التي لم يقدر أن ينساها من قبل، بدأ النسيان يمحت صورتها في ذهنه رويداً، رويداً .

وبينما روحه معلقة بالسماءِ لمح من فوق جبلِه جموع (المصريين) تهجر بلادها إلى اللاشيء، تجرُ فزعها من خلفها، لم يكن بباله أنه يوجد كل هذا الجمع من البشر على وجه الأرض، إنهم بالآلاف، كيف أمكن لأمه أن تخفيه كل ذلك الوقت عن أعينهم ؟ أدرك مدى معاناتها الشديدة طوال السنين الماضية، كيف يمكن (للمصريين) أن يهجروا (نيلَهم) الطيب ؟

لم يكن يعلم سبب رحيلهم في ذلك الاتجاه، ولم يحاول أن يسأل نفسه، لقد عقِل الدرس الماضي ولن يخلف وعده ل(إيجى) أن يبتعد عن البشر ما حيا .

هؤلاء الذين حاولوا إيذاءه لمجرد أنه ملَك أو لأنهم لا يملكون أجنحته، ظن بهم غير ذلك لكن (إيجي) كانت أعلم بهم منه .

أتاه صوتٌ يحمل في ضعفه الأمانَ من خلفه .

: إلهي (آمون) ؟

التفت خلفه مدهوشاً، تأمل الوجه المتكلم للحظات .

كانت الصورة مشوشة في ذاكرته، يعلم أنه التقاه من قبل، ولأن عدد الوجوه كان محدوداً في رأسه لم يأخذ وقتاً طويلاً ليتذكره، رغم أنه حاول أن يمحو كل الوجوه . إنه أحد الجنود الذين حضروا لحظة أسره هو و(إيجي) .

= لست إلهاً يا هذا .

: رأيتك بأم عيني ولم أنسك من وقتها، حين أطلقت أجنحتك وطرت في عين الشمس .

= نعم أذكرك، لكني لست إلهاً أنا (آمون) .

: لا تعلم مقدار سعادتي لرؤياك سيدي (آمون) .

= أظنك ممن كانوا يطلبون أسري .

: كنت مأموراً مولاي، أما الآن فنحن ننجوا بأرواحنا من بطش (ابناء الماء) .

= (أبناء الماء) ؟! وهل للماء أبناء يا هذا ؟! قل لي، هل تعلم أيَ شيء عن (إيجي) أمي ؟

: كان (فرعون) ينوي حرقها في الزيت المغلي، قرباناً له في يوم عُرس (ساهي) ابنة كبير الكهنة .

= ماذا ؟ سيحرقها ؟!!

لم يدرِ لمَ ارتجف قلبه حين سمع جملة - عُرس (ساهي) - لكنه لم يُظهر اهتماماً إلا بأمه .

: نعم كانت ستقدم قرباناً له، لكن زحف (ابناء الماء) إلى أرضنا أوقف كل شيء . فرغ ال(فرعون) لصد جحافلهم الغازية، نعلم أن الأمر محتوم فهربنا .

= (ابناء الماء) ؟ مهلاً فأنا لا أفهم ما تقول .

: أتوسل إليك سيدي انجدنا من يد (ابناء الماء)، إنهم لا يبقون حياةً على أي شبرٍ تطأه أقدامهم .

= (إيجي) . كل ما يعنيني هو (إيجي) .

: لن يفلتوها إن لم تنقذنا من (ابناء الماء)، إنها سجينة قصر (فرعون) وإن لم يتوقف زحف جيوشهم فلن تنجو . انجدها وانجدنا معها أرجوك .

لم يخبره طيف (إيجى) أياً من هذا، كان يعلم أنها تفضل الموت ليبقى هو سالماً، نسى كل وعوده في لحظةٍ، فقد كانت توسلات الجندي صادقة، فرد أجنحته في وجه السماء وطار يعرف هدفه جيداً، إنه قصر (فرعون) الذي علم أنه ليس بعيداً عن (النيل) .

نادى الجندى بصوت جهوري من فوق الجبل

: يا شعب (مصر) . لقد عاد إلهكم (آمون) ليُنجيكم . عاد (آمون) من جديد .

ارتفعت الرؤوس إلى مصدر الصوت، هالهم مشهد (آمون) فارداً أجنحته في السماء كريح مُرسلة فسجد كل من رآه من دون وعى .

******

كان هبوط (آمون) أمام الأعين الزائغة أكثر أسطوريَّة من حفل تأليه (الفرعون) الأعظم ذاته، حتى (فرعون) لم يصدق عينيه اللتين غادرتا محجريهما حين حطَّ (آمون) ساجداً عند قدميه .

كان قد سمعَ، لكن رؤيته بأم عينيه أثارتا فيه العجب والتساؤل - هل يمكن له أن يكون إلا إله ؟! لا عُجب إن عبدوه من دوني !! –

لم يدرِ كيف سيبرر (للمصريين) أنه إلههم بعد ما وعته عيناه، بل كيف سينكره بعد أن رأى ذلك الملَك المجنح الذي هزَّ عرشه وسجد له الحاضرون؛ من دون أن يأذن لهم (فرعونهم)، حتى أنه هو نفسه ودَّ لو سجد لولا ذلك الكِبر الذي يسكن وريدَه .

رفع (آمون) رأسه وقال بصوت خفيض

= مولاي (فرعون) . أقدِّم نفسي فداءً لأمي (إيجى) . فهل تقبل ؟

لم يصدق (فرعون) أذنيه. لحظات من قبل لم يكن يعرف كيف سيفلت بعرشه من أمام ذلك الملَك المجنح، والآن يقدم (آمون) رأسه على طبق من ذهب إليه ليبقى (الفرعون) إلههم الأوحد .

لم يكن (فرعون) يعي الموقف بكامله، أسئلة كثيرة تزاحمت في رأسه ولا إجابة، حتى الخوف من المواجهة الذى بدأ يخفت في داخله شيئاً فشيئاً لم يفسر أسئلته، عادت مشاعر الإله النابضة فيه تحل محلها من جديد لكن على استحياء، حين استلّ سيف (بتاح) من غمده بيده المهتزة، كان يتساءل في نفسه - هل سيموت ذلك ال(آمون) إن طعنه بهذا السيف ؟-

كان (نف سور) متابعاً لكل ما يجري من دون أن يقدر على النطق، لكنه استعاد تلك القدرة دفعة واحدة حين رأى يد (الفرعون) تمتد إلى السيف مرتعشةً، فتحرك إليه ومال على أذنه هامساً .

- مولاي المعظم، أرجوك لا تفعلها الآن .

تعجب (فرعون) . فتابع (نف) قوله:

– إن قتلته الآن فلن تستطيع أن تقتل سيرته بين الناس، كلهم رأوه وسجدوا له، سيعتبرونه إلهاً مضحياً لأجل أمه، وماذا سيحدث إن لم يمت بضربة سيفك؟

أنا لا أستغرب أبداً أن يحيا بعد طعنك له، فكل ما فيه عجيب وقتله لن يكون أقل عجباً، وقتها سيصير إلهاً رغماً عن الجميع، وستضيع هيبتك مولاي حتى النهاية .

كانت كلمات (نف) جد مؤثرة حتى أن (فرعون) سأله مرتبكاً :

وما رأيك يا كبير الكهنة ؟ ماذا أفعل الآن ؟

- دعه يهلك نفسَه بنفسِه .

: فسِّر قولك أيها الكاهن .

- ساومه مولاى، اطلب منه طلباً لا يقدر عليه إلا إلهٌ مقابل من جاء إلى هنا ليفديها، أمه .

: ماذا ؟

- مُره أن يأتِ برأس (مارون) قائد (أبناء الماء) إن كان إلها كما يدّعون، وقتها إمَّا أن ينجح وينقذ مُلكك، أو يموت بعيداً عن بلاط قصر مولاي من دون أدنى مجازفة.

كانت كلمات (نف) ماكرة، وجدَت صداها في عقل (فرعون) على الفور حتى أنه صاح في الجميع .

= سجدتم له من دون أمري، بهرتكم أجنحته ومنظره العجيب ونسيتم الذي أنتم في حضرته .

التفت إلى (آمون) .

والآن أيها المخلوق العجيب المدعو (آمون)، إن كنت إلهاً بحق.....

قاطعه (آمون) بهدوء

= لست إلهاً سيدى .

انفرجت أسارير (الفرعون)، وبرزت ابتسامةٌ فوق شفتيه حين سمع الجملة الأخيرة .

: أتسمعون جميعكم ؟

إنه يعترف أمام (فرعون) الأعظم أنه ليس إلهاً ومازلتم له ساجدين ؟! حتى وإن كنتم تظنونه إلهاً فلن أقتله بل سأثبت لكم أنه لا يقدر أن يكون إله، سأطلب منه طلباً لا يقدر عليه إلا .....إله .

(آمون) أيها المخلوق العجيب الذي لم أرَ مثلَه من قبل، إن تأتني برأس (مارون) ملك (أبناء الماء) فسأحرر أمك ..... بل وزيادة .

منح (نف) نظرة غير مستأذِنة .

سأزوجك من حبيبتك، كما أظن..... (ساهي)

برقت عينا (نف) ذاهلةً

بل وأكثر من هذا .... سيكون حفلكم هنا في قصري وتحت ناظري، أباركككم أنا (فرعون) إلهكم المعظم .

لم ترتفع أيٌ من الجباه الساجدة رغم فضولهم الشديد الذي ملكهم؛ بعد كل ما سمعوه، لكن (آمون) تجرَّأ ورفع رأسه في وجه (فرعون) .

= ومن هو (مارون) ؟ ولمَ أقتله ؟

: هو قائد جيوش (أبناء الماء)، الذين يدقون أبواب بلادنا، يسوقون الموت أمامهم، يريدون محو أهلها وسلبَهم أرضهم و(نيلهم) .

= من دون سبب ؟

: إنهم يقتلون من دون سبب .

تذكر كلمات أمه (إيجي) - سيقتلونك يا ولدي من دون أسباب - عندها أدرك أن البشر قتلةٌ بطبعهم ومن دون أي أسباب، قرر أن يُنجي أمه من بين هؤلاء المخابيل، ويرحل معها إلى أبعد ما يكون، نهض منتصباً في قوةٍ أرجعت الوقوف إلى الوراء .

= سآتيك برأسه يا مولاي، لكن أرجوا أن تتذكر وعدك أمام الجمع الحاضر وقتها .

: إن صدَقْت سأصدقَكَ .

= سأصدُق يا مولاي، سأصدق ..... بإذن الله .

جمَّع كل قوته في جناحيه وطار أمام العيون الساجدة، مانحاً إياها قدراً هائلاً من الذهول وقدراً أكبر من الكلمات التي ستصير رواياتً بين (المصريين)؛ إلى نهاية الزمن .

******

في بعض الأحيان يكون للموقف تأثيرٌ غير مرئي أشد من تأثيره الواضح للعيان، هذا ما قد خلفَه ذلك المشهد الرهيب الذي ظل الجمع أسيره لفترة ليست بالقليلة، كان واقفاً يشهد الموقف كله، لم يصدِّق ما رآه، بدا له وكأنه يستدعي ذكرياته الميِّتة .

: ماذا قد يكون هذا ال(آمون) ؟

إنني أعرف تلك الهيئة بل أحفظها عن ظهر قلب، أنا من أخفيت وربّيت شبيهه من قبل، لا يمكن أن يفلت من تحت يديَّ إبنٌ من أبناء (إبليس)، ما هذا الهراء الذي يحدث ؟

قال كلماته وهو يرى أحد أبناء أبيه في هيئته الجنيَّة الكاملة، أكيد أنه ابن ل(إبليس)، ليس هناك (أبالسة) آخرين، هذا عهد الله لأبيه، فكيف نجا من بين يديه هاتين ؟

ماذا سيقول ل(إبليس) العظيم ؟ وكيف يمكن أن يُخفي مثل هذا الأمر عنه ؟ سيعلم إن آجلاً أو عاجلاً بأمر ذلك ال(آمون) حتى وإن لم يخبره .

كانت الدهشة والأسئلة تزاحم في رأس (سيرائيل)، لم يستطِعْ أن يصدق ما قد رآه، كان من بين الحضور في بلاط (الفرعون) المعظم ينتحل شخص أحد الجنود ليحمل أخبار القصر إلى أبيه .

: اللعنة، لابد أن أخبره وإلا أطفأ ناري إن علِم من غيري .

سأكون أنا المتهم الأول في هرب أحد أبنائه، وربما فُتِحت أبواب الماضى على مصراعيها من جديد لتقذف بي و (ميركو) إلى أعمق أعماق الجحيم . لقد مررها من قبل ببساطة شديدة وغريبة، ربما أنه أراد ألا يُذكر اسمها في حضرته من جديد، وربما غلبه وجع قلبه، والآن كيف ستمر؟

أي لعنةٍ سوداء ألقت بذلك ال(آمون) في بلاط القصر أمام عيني ؟

كنت أعلم أنّ فِعلَتي ستجلب علىّ اللعنات، حتى وإن أوهمتنا السنون غير ذلك . إن ذلك ال (آمون) يعيد كل شىء إلى نقطة البدء .

ماذا سأفعل .....؟؟؟

******

كانت ملامح وجه (سيرائيل) فاضحةً لما تحمله من أخبارٍ ربما تعكر مزاج (إبليس)، لم يكن (إبليس) بحاجة لنطق (سيرائيل) كي يعرف أن أمراً خطيراً حدث، طلّةٌ في وجه أول أبنائهِ تبعها صوت ينبع من أعماق جهنم .

: أىُ شرٍ تحمله الآن يا (سيرائيل) ؟

لم يكن (سيرائيل) قد تجهَّز للكلام، فخرجت الكلمات متخبِّطة غير ذات معنى .

: هل نسيت الكلام ؟ إن وجهك يذكِّرني بتلك اللحظة الباقية حتى النهاية .

كانت لهجته كفيلة أن تنطق الصخر، فقال بصعوبة بالغة وبخوف ظاهرٍ.

- مولاي وسيدي (إبليس)، جئتك أحمل ما لا أطيق وما لا أصدق .

: انطق أيها اللعين .

- سيدى رأيت اليوم ما أذهلني في بلاط (الفرعون) .

ساخراً :

هل عاد يعبد الله ؟

- لا يا مولاي إنه ..... إنه (آمون) .

: ومن يكون ذلك ال (آمون) ؟

- هذا ما أذهلني ويخيفني حتى الآن . إنه يشبه..... يشبه أبناءك يا سيدي وإلهي .

: ماذا تقصد بكلماتك اللعينة ؟ انطق .

- كنت فى بلاط (فرعون) متخذاً صورة أحد جنوده، أتابع كل ما يجرى بأمرك أيها العظيم، سمعت حديثاً عن مجنح يُدعى (آمون) خلب (المصريين) ألبابهم، حتى أن البعض اتخذوه إلهاً، صلّوا له في معابدهم .

: مجنح ؟

- نعم سيدي .

وحين حطَّ أمام عيني في البلاط لم أصدقها، أقسم بك أنت أنني لم أفلت أياً من أبنائك حتى لحظتنا ، عندما هبط من السماء سجد عند قدمي (فرعون)، و..... وجدته يشبه أبناءك .

: كيف يشبههم ؟

- يشبههم إن أبقيتهم على صورتهم الجنية، إنه يشبه ابن .....(ميرو) .

ذلك الذي أنهيتَه في ماء (النيل) منذ عشرين عاماً أمام جموع الشياطين سيدي .

: كيف يكون ذلك ؟ لقد احترق ابنها أمام الجميع .

- نفس الملامح سيدي، تلك التى لا أنساها ما أبقيت على حياتي، أجنحته الشفيفة، زرقة عينيه، شعره المذهب، كأنه منسوخ منه، لكنه ليس هو مولاي، هو آخرٌ.

نهض (إبليس) من فوق عرشه محملاً بغضبٍ قوَّاه إصرار (سيرائيل) على صدق كلماته . صرخ بقسوةٍ:

: ومن قد يكون يا (سيرائيل) ؟ هل هناك أبناء لشيطان آخر ؟ أم أنك فقدت صوابك اللعين ؟ ألست أنا (إبليس) الوحيد فوق هذه الأرض ؟ أليس هذا ما يميزني عن خالقي ؟ للأرض أرباب كُثْر بين الناس وشيطانُ واحدٌ، هو أنا وأنا وحدي .

- بالطبع مولاي وسيدي .

: والآن تأتي إليّ وتقول أن لي ابناً على قيد الحياة، بقى على صورته التي حرّمتها على جميع أبنائي ؟ أي أكاذيب تسوق إليّ أيها اللعين ؟

- حاشاك أن أكذب في حضرتك سيدي، أقسم بك أنت أني كدت أجن حين رأيته يطير أمام عيني، وكان عليّ أن أخبرك بالأمر مولاي .

: تخبرنى أنك أفلتَّ أحد أبنائي ؟ الويل لك .

- سيدي . أنت تعرف إلى أي مدى أخلص لك وأحبك، أقسم بجلالكَ أنت أني لم أفلت أيَ ابن لك من قبل وأنت أعلم .

: سأعرف الحقيقة . سأعرفها بنفسي وإن كنت تكذب .....

- أقسم بك أنت .....

: أجِّل قسمك الآن فسأُظهر الحقيقة، وعندها سوف تعلم مصيرك .

******

كانت المسافات تُطْوى بجناحي (آمون) يشق السماء إلى حيث جيش (أبناء الماء) .

بدأت الصورة تظهر لعينيه، تأمّل عددهم، بحر من الرجال شديدي القوي والبأس في انتظار أمر واحد من فم قائدهم ليثور فتضرب أمواجه أرض (مصر) ويمحيها تماماً من خارطة الدنيا .

= من أين أتى كل هذا الجمع ؟ لماذا يصرون على دخول (مصر) ؟!! ألا يكفيهم كل هذه الأرض المرميّة من وراءهم ؟

قالها في نفسه وهو يحاول تحديد موقع قائدهم (مارون) من أعلى .

كانت الخيمة الوحيدة التي تصطبغ باللون الأحمر بين كل الخيام، أوسعهم وأعلاهم ، فلابد أن (مارون) يسكنها .

كان يسابق الوقت لينهي ما وعد به ، لكن نفسه حدثته أن يتأنى ، لابد أن يعرف غريمه قبل أن يلقاه، كان مجهولاً له وكان أكثر ما يخشاه أن يفشل في العودة برأسه، إن فشل ضاع كل شيء من يديه وضاع أحبابه .

= الآن عليّ أن أهدأ قليلاً وأستجمع أنفاسي المتهدجة .

قرر أن يحط فوق أحد الجبال المطلة على جيش (أبناء الماء) ويستريح لبعض الوقت؛ يتابع خلاله معسكرهم ليعرفهم، بعد أن استقر أخذ يلملم قواه وأسلم جسده لغفوةٍ قصيرةٍ، ينفض عنه عناء السفرِ الطويل .

وبينما هو يغط في غفوته جاءه (إبليس) .

: من أنت ؟

= (آمون) ابن (إيجي)، لكن من أنت ؟ ولمَ تخفي هيئتك وراء حجاب ؟

تجاهل سؤاله وتابع

: أيُ (إيجي) ؟

= (إيجي بتاح) أمي العابدة على جانب (النيل) .

: لست بشراً .

= أعلم، أخبرتنى أمي أنني ملَك هادتها بى السماء حين حسنت عبادتها للخالق .

: لست بهيئة الملائكة .

= وماذا قد أكونه غير أني ملَك ؟

: الملائكة خلقوا من نور، فمن أى شىء أنت مخلوق ؟

= لا أعرف، لكن الماء محرَّم على .

: غريب جداً . محرم عليك الماء !! ألا تعرفني ؟

= ومن تكون أيها المحتجب ؟ أنا لم أركَ من قبل .

: قريباً ستعرف من أكون .

همَّ بالانصراف فناداه (آمون)

= ما اسمك ؟

: اسمي ..... (إبليس) .

فزِع (آمون) من غفوته واسم (إبليس) يتردد فى أذنيه، فعلاً كان الاسم جديداً عليه، ربما لأن (إيجي) لم تُعلِمه الاسم الحقيقي للشيطان من قبل .

******

وجَّه (آمون) بصره من أعلى الجبل إلى حيث يستقر (أبناء الماء)، لم يدر كم مرّ من الوقت أثناء غفوته، لكنه يدرك أنها لم تستغرق إلا قليلاً، بمجرد أن وقعت عيناه على (مارون) يخرج من خيمته نفض كل ما رآه في غفوته عن رأسه، تركزت كل أحاسيسه على قائدهم، يتأمل كل لفتة من لفتاته .

بدا عظيماً شامخاً عليه أمارات المُلك والقيادة لكنه لم يزل بشرياً، لا يختلف كثيراً عن باقيهم الذين رآهم حتى الآن، ربما أنه أضخم قليلاً وأشد بياضاً من سابقيه، كان يتحرك تحت تاجه الذي تنعكس منه الشمس وكأنها تقبل رأسه، لم يكن بحاجة إلى قدرٍ كبير من الذكاء ليميزه .

قال (آمون) فى نفسه

= إذاً فهو أنت (مارون) ..... أنت خلاص أمي وخلاص.....

ارتسمت صورة (ساهي) في عقله بعد أن ظن أنها تاهت منه وسط الأحداث العظيمة .

= وخلاص حبيبتي .

كانت النار في أيدي (أبناء الماء) جليةً لعينه، وكان يعرف تماماً كيف يطفئها، نظرَ إلى السحب فطاوعته، استغرب طاعتها أولَ الأمر، وجهها إلى حيث يريد، تدافعت فوق الأطلسيين فأظلمت السماء في منتصف النهار، هطل الماء غزيراً من دون إنذار فانطفأت نواة نارهم وسلاحهم الأمضى .

ساد الهرج بين الجند تدافعوا كنملٍ يفر من قسوةِ الماء، فانكشفَت خيمة قائدهم .

ارتسمت في عينيه نظرةٌ قويةٌ استقى وحشيتها الجديدة عليه من عيون البشر الذين قد رآهم، فرد أجنحته وانطلق كسهم تباركه السماء، يعرف هدفه جيداً ولن يحيد عنه أبداً .

عندما ظهر للعيون من فوقها تعلقت النظرات بجناحيه مملوءةٌ بالخوف والرهبة . من ذا الذى انشقت عنه السُحْب فجأةً ؟

بدا في عيونهم كإله حقيقي، تسمر الجيش في مكانه، حتى(مارون) نفسه كان قد نسى كل أعضاءه وهو ينظر إلى مبعوث السماء .

اقترب كثيراً وانتزع إحدى الحراب أمام الأعين المحدقة، انطلق بها صوب (مارون) وفي لحظةٍ كانت الحربةُ تمر عبر رقبته وعيناه تجحظان .

سقط (مارون) من دون عناء أو مقاومة، طار (آمون) بين الجند المتيبسين، حطَّ واضعاً قدمه اليمنى فوق صدر قائدهم العظيم، انتزع الرمح من رقبته وفي برودة الثلج دار بين العيون الزائغة حوله مشيراً برمحه؛ فلم يجروء أحدهم أن يبرح موقعه .

صاح (آمون) في الجميع

= ليس لكم فى هذا الاتجاه - مشيراً إلى أرض (مصر) - إلا الموت.

لم يفهم واحدٌ من الجند كلماته لكنهم أدركوا مغزاها الحقيقي، أجرأهم على الإطلاق قبض بقوة على مقبض سيفه دون جرأةٍ على سحبه في وجه ذلك الإله المجنح، بدأ الجند التراجع من حول ملكهم القتيل، لحظات بعدها وانفضَّت الجموع الهائلة مبعثرين في اتجاهات عدّة؛ كلها لا تشير إلى حيث أرض (مصر) .

لم يفلتهم (السمر) من أبناء إفريقية، جزوا رؤسهم وعلقوهم من أرجلهم على أشجار الغابات، هدموا آثارهم وتمثال إلههم، فقد الأطلسيون قوتهم حين أطفأ (آمون) نارهم ولم يعودوا عصيين على الهزيمة كما كانوا قبلها . أنهوا قصتهم لتُنسى من جديد .

بهدوءٍ وحشي لم يدر (آمون) من أين امتلكه، استلّ سيف (مارون) نفسه وجزّرأسه حتى فصلها تماماً، غرس رمحه فيها ورفعها إلى حيث تسكن الشمس، أحسّ بعظمةٍ لم تكن أبداً منه بينما الوجود يخلو من حوله، ليعلنه منتصراً وحده على كل جيش (أبناء الماء) .

******

لم تستغرب (إيجي) رؤية (إبليس) يقتحم حُلمها، كانت تعرفه رغم أنها لم تره من قبل .

قال (إبليس) بصوته المخيف

: أخيراً ألتقي (إيجي) العابدةَ وجهاً لوجه .

- ابتعد أيها اللعين الجهنمي .

: وكيف أبتعد أيتها .... الأم ؟ أرهقتيني حتى أدخل حلمك، بحثت من قبل عن الوحيدة التى لم تزل تعبد الله فوق أرض (مصر)، كان إلهكِ يمنعكِ منّي ، والآن.....

ضحك بقسوة: لابد أنكِ ارتكبتِ خطأً فادحاً في حق إلهكِ ليُسلمكِ لي .

- إن أسلمني ربي فهو لسببٍ في علمه لا يجوز أن أجادله فيه، أمَّا أنا فلا أقدر أن أُخطيء في حق خالقي كما تفعل أنت أيها الطريد .

: مازلتِ عابدة يا (إيجي) ؟ رغم أنكِ تنتظرين حرقك قرباناً ل(فرعون) (مصر)، لكن لا تخشي شيئاً، سوف يأتيه (آمون) برأس ملك (أبناء الماء) وستتحررين بيده ، يد ابني (آمون) .

- ليس ابنك أيها اللعين . إنه ملَك .

: يبدو أنك لا تقدريني حق التقدير، لست من السذاجة يا (إيجي) لأصدقكِ وأكذِّب عيني، إنه ابني من نطفتي، رأيته منذ قليل وأنا أعلم بأبنائي .

- إياك أن تقربه وإلا مزقتك بأسناني .

ضحك

: وكأنه ابنكِ تماماً يا (إيجي)، صدقيني إن قلب الأب لا يخطىء، هذا إن كان .....أباً حقيقياً .

- قلت ليس ابنك إنه ملَك .

أمسكها من تلابيبها بقسوة، صرخ فيها وهو يهزها بعنف، بدت كدميةٍ بين يديه .

: عشت مع الملائكة وأنجبت ملايينَ مثله، مخلوق من غير النور، جسده محرَّم على الماء، أي كذبةٍ تعيشينها أيتها الحمقاء؟ إنه ابني، من أين حصلتي عليه؟ كيف أفلت ليصير كما هو الآن؟ .

كادت روح (إيجي) أن تفارقها إثر هزَّات (إبليس) لولا أن ظهر الرسول في حلمها، دفعه عنها قائلاً:

.. ابتعد عنها أيها اللعين .

فزع (إبليس) لرؤيته الرسول، تراجع للخلف قائلاً في تحدٍ:

: تعلم ويعلم ربك أنه ابني، لا أريده، أنا في غنى عنه فلدىَّ ما يكفي وسأحصل على أكثر مما يكفي، لكني أريد أن أعلم كيف أفلت (آمون) من بين يدي ؟

.. ليس ابنك أيها المسخ وارحل الآن قبل أن أؤذيك .

ضحك (إبليس) بسخرية .

: هل ستُغضِب ربك وتقتلني؟ تقتل من كتب الله عليه الخلود حتى النهاية؟ هيا افعلها وسأكون أسعد مخلوقٍ لو عصيت ربك أيها الرسول.

اقترب منه متحدياً فشعَّ جسد الرسول نوراً مبهراً، غطى كل المشهد، ألصق (إبليس) بالحائط وكأن ريحاً قويةً تحاول أن تخرق الجدار بجسد الشيطان .

.. محرمٌ عليك الموت لكني أقدر على منحك عذاباً يشبة مصيرك، الذي ينتظرك . أمرتكَ أن ترحل . والآن .

صرخ (إبليس) صرخةً فزعةً وألمه يكاد يودي به

: كفى . كفى سأرحل .

بعد أن هدأت العاصفة لملم شتاته وتابَع

: لكني سأعود من أجل ابني، إبني الذي سلبني ربكَ إياه رغماً عني، إبني الذي أفسده ربكَ عليّ، سأعود يا (إيجي) وعندها ستندمين أنكِ قبلتِ هدية ربكِ .

هبَّت (إيجي) فَزِعَةً من نومها، تشبثت برقبتها وأخذت تشهق بقوة لتعيد روحها إلى الجسد، إنها تشعر بكف (إبليس) حقاً مطبوعةً فوق عنقها .

لحظات حتى استرخى جسدها فانفجرت باكية .

- يا ويلي . اقتربت النهاية يا (آمون)..... إقتربت كثيراً يا ولدي .

******

بدأ (آمون) يقدِّر قوته حق التقدير، استغرب لحظتها كيف عاشت فيه كل تلك القوة لسنوات من قبل ولم يُخرجها، بل لم يكن يعلم أنها تسكنه في الأصل، ربما أن وقتها لم يحن إلا الآن ليحرر أمه (إيجي) ، بدأ طيف (ساهي) الذي كان يهامسه يحتله عن آخره من جديد، نفس إحساسه عند آخر لقاء بينهما يعود من جديد، وكأن البعد لم يطفيء نار حبه لها ولو للحظة، العجيب أن هذا الإحساس تعاظم فقط حين شعر بقوته الخارقة، إنها القوة وحدها هي التي تمنح الفرد القدرة على الحُلم وأيضاً التسامح، أخبرته أمه أن البشر خطائين وخطأها لم يقتله .

كان حاملاً رأس (مارون) فوق سن رمحه، يطير من دون أي هوادة نحو قصر (فرعون) الذي يحتل حلمه، بدت المسافة بعيدة جداً، رغم أن طريق العودة دائماً يكون أقصر من الذهاب لكن شوقه للأحبة؛ أضاف مئات الأميال إلى طريقه . كان عائداً يحمل حلم حرية أمه وحبيبته فوق سن رمحه، والجديد هو القدرة على تحقيق هذا الحلم حتى وإن لم يَصْدُقه (فرعون) .

******

: أنا (إبليس) الخال . مازلت أنا الشيطان. الوحيد الذي جروء أن يعادي ربه .

صرخ بها (إبليس) في مملكته فطأطأت كل الرقاب، كان يجرُ ثورتَه وحقده من خلفه، لم يكن الاعتراف بالخسارة من مكونات الشيطان فهو المخلوق الوحيد حتى نهاية هذه الدنيا.

نادى (سيرائيل)

: (سيرائيل) .

جاءه مهرولاً

- مولاي المعظم .

: اجمع كل الشياطين وألبسهم لباس الحرب، أريدهم على أهبة الاستعداد حين أعود من قصر فرعون. هيا . سأعرف الحقيقة ولن يقدر أحدٌ أن يمنعها عني .

بُهت (سيرائيل) لقول (إبليس)، كانت أول مرة يسمعها منه لدرجة أنه لم يكن يعلم من قبل أنهم مأمورين بها، لكن صوت (إبليس) كان أقسى من أن يستفهم حتى .

- أمرك سيدي .

التهبت عينا (إبليس) وهو يقول لنفسه

: إن كان يريدها حرباً فلتكن ولتبدأ النهاية من جديد .

كان يعلم أن جندَه لن يصمدوا في وجه جند السماء للحظة، اختار نهاية الجميع حتى هو، يختارها بأمره لا بأمر غيره .

******

حين حطّ (آمون) في قصر (فرعون) للمرة الثانية لم يحط راكعاً كسابقتها، بل فارداً جناحيه في وجه الجميع، حاملاً رأس (مارون) فوق سن رمحه فى شموخ وكبرياء عرف طريقه إلى نفسه لأول مرة، حتى أنه استحبَّ إحساسه الجديد.

كان يتأمل الركَّع حوله من علياءِه، اقترب من عرش (الفرعون) بعظمة وثبات، ألقى رمحه عند قدميه فأفلتت الرأس لتتدحرج على الأرض، تأمله دون أن ينطق .

تلفَّت (فرعون) في كل بلاطه، كان المشهد مقدساً بحق، حتى أنه نسى كل ما يجري بعروقه من كِبر وعظمة أمام مهابة المشهد . كان نزوله من فوق عرشه ليسجد عند قدمي (آمون) صاعقاً، الله ينزل من عرشه الذي كاد أن يضحي بشعبه كاملاً لأجله فقط ويسجد ل(آمون) .

لم يقدر كبير الكهنة ولا قائد الجيش إلا على الطاعة فتبعا (فرعونهم) ساجدين، ارتسم الله جلياً في وجه مخلِّصهم (آمون) .

تكلم (آمون) بنبرة لا تحمل سوى القوة المفرطة .

= أعلمُ أنني سبقت الأخبار إليك، إنها رأس (مارون) كبيرهم، وغداً ستأتيك الأخبار بما قد حلَّ بجيش (أبناء الماء) .

اطمئن أيها (الفرعون) إن (مصر) الآن آمنةٌ .....- تابع -مادمتُ فيها .

صاح أحد الجنود

* عاش (آمون) المعظم .

عاش إلهنا الأعظم .

تبعه الجميع هاتفين

عاش إلهنا (آمون) .

رفع (فرعون) وجهه من الأرض متأملاً ذلك الإله الماثلُ أمامه، نهض وأمسك بيد (آمون)، سار به تجاه العرش، كانت خطوات (آمون) تخترق الأرض إلى أعماقها، حتى (فرعون) نفسه - وإن ظنَّ نفسه إلهاً - أجلسَهُ فوق كرسي العرش دون أدنى شكٍ أنه يُجلس الإله الحقيقي في مكانه الصحيح .

حين استقر (آمون) مكانه صاح (فرعون) نفسه .

: عاش إلهنا الأعظم .

تبعته كل (مصر) بأنحائها، دوَّت الهتافات إلى السماء وتسربت من خلال الجدران الصخرية إلى حيث تصلي (إيجى بتاح) .

أشار (آمون) بيده للجمع أن اصمتوا فساد السكون .

= الآن أيها (الفرعون) قد وفيت بما وعدتُ، بقى أن تصدقني وعدك أنت .

أشار (فرعون) إلى جنوده

: أكرموا أم الإله .

التفت إلى (آمون) مبتسماً ابتسامة خالصةً ثم التفت إلى (نف) ومنحه إشارة من عينه، على الفور فهم كبير الكهنة مغزاها فنهض من سجدته تاركاً المكان ليأتي ب(ساهي) ابنته من أجل الإله، وفي هذه المرة كان الرضا يُطل من عينيه .

حين بدا الارتياح على قسمات (آمون) صاح (الفرعون) ثانيةً

: عاش (آمون) إلهنا المعظم .

تبعه الجميع

- عاش إلهنا المعظم .

العجيب أن أمارات السعادة التي ارتسمت على وجه (آمون)، كانت تحمل في طياتها شيئاً من الرضا والقبول عن كونه إلهاً.

******

تفجَّرت عين الحكايات عن (آمون)، وطارت الأخبار السعيدة من خلفه تحمل البشارة (للمصريين) الذين تبدَّل خوفهم فرحاً .

تناثر جيش (أبناء الماء) في الصحاري والغابات، ضاعت هيبتهم ونال منهم كل من كان له ثأر عندهم، وحتى المدن التى داسوها من قبل خرج أمواتُها من قبورهم ليعلنوا أن الموت (لأبناء الماء) . وبالطبع حُمِّلَت الأخبار الواردة بخيالات البشر حين يحكون .

خلقوا بأنفسهم إسطورة معبودهم المجنَّح الذي جرَف بجناحيه أكثر من مئة ألف جندي من (أبناء الماء) . (آمون) الإله الذي صرخ في وجوههم صرخةً اقتلعت خيامهم ومرابط خيولهم على الفور . (آمون) الذي ثار البحر لغضبته فهاج وهدَّم تمثال إلههم الأعظم معترفاً بأنه لا إله غير (آمون) فوق الأرض .

(آمون) الذى أطفأ نارهم بالسحبِ . كانوا يحتاجونه لكى يُحَمِّلوه أحلامهم وأمانيَّهم الضائعة، أسقَط (فرعون) الأعظم برضاه الكامل وتألَّه فوق أعظم العروش، عرش (مصر) .

سجد (المصريون) سجدةً واحدة عن رضا وقناعة وليس قسراً كما اعتادوا من قبل، كم هو ممتع ذلك الإحساس بالرضاء خاصة إن مس اختيارَ معبودهم .

- عاش (آمون) إلهنا المعظم - رنَّت في أرجاء (مصر)، وجاوزتها لكل المعمورة، فمِن غير (المصريين) مِن اتخذ (آمون) إلهاً أيضاً .

حين فُتِح باب سجن (إيجي بتاح) كانت لاتزال تصلي باكيةً، ظلت تبكي حتى عندما قبَّل الضوء وجهها الغارق منذ فترة في سواد الظلمة .

كان حوارها مع (إبليس) قد فطَر قلبها، علِمت أنه لا مفرّ من مواجهة الحقيقة .

الحقيقة التي عاشت تحجبها بروحها عن كل البشر راضيةً ب(آمون) مرضيَّة به، الآن حاق الخطر بولدها وملَكها وحبيبها، ولا تدرى ما تفعله لتقيه الشر المنتظَر.

دخل الجندي عليها، وبمجرد أن رآها تصلي سجد عند قدميها قائلاً

- أم إلهنا (آمون) المعظم .

لم تعي (إيجي) تلك الجملة والتي كانت واضحة، ربما لأنها لم تسمعها من قبل . كان مجرد أن ينفتح الباب عليها كفيل أن يقتلها خوفاً، أن تذوب في الزيت المغلي، الآن يسجد لها أحد جنود (فرعون) وساجنها ليقول ما يقوله !!!!

لم تنطق لأنها لم تفهم، فتابع الجندي

- أرجوكِ مولاتي، تقبّلي أسفَ شعب (مصر) كله على ما اقترفه في حق أم الإله المعظم .

طفحت الدهشة فوق ملامحها والجندي يتابع

- (فرعون) يطلبك لِحَضْرَة إلهنا (آمون) العظيم .

كانت كلمة - إلهنا (آمون) - التي كررها الجندي هي ما يُلجم لسانها، كانت أعلَم الناس بأن (آمون) لم ولن يكون إلهاً قط .

تبعته ورأسها لعبة بين يدي الفِكَر، لم تجد أمامها إلا أن تدعوا الله أن يكون خيراً .

******

كانت تجتر ذهولها، حين دخلت إلى بلاط (فرعون) زادت دهشتها، رأت ولدها (آمون) جالساً على كرسي العرش في عظمة لم تعهدها فيه ولم تنشئه عليها، إلى جاره تلك البنت التي رأتها لحظة الأسر، نفس البنت التي كشف (آمون) سرَّه لأجلها، كانت (ساهي) إلى جواره .

تأمَّلَت الساجدين من حولها ذاهلةً، كان الطريق لابنها هو الوحيد الذي يجذب أقدامها من دون وعي، حين اقتربت من مجلسه العجيب نهض والسعادة تفيض منه على كل ما حوله، فتح ذراعيه عن آخرهما مملوءتين بالشوق الشديد .

شيء ما بداخلها سمَّر أقدامها غير بعيدة عن ولدها الذي بدت لا تعرفه لأولَ مرةٍ منذ لقيته، الاستغراب ينبت من عينيها واضحٌ للشهود ولابنها نفسه .

اقترب منها (آمون) واحتواها بين ذراعيه قائلاً في غمرة النشوة .

= اشتقتُ إليكِ يا (إيجي) .

أسلمت نفسها لحضنه الدافيء من دون نطقٍ، أحس (آمون) برودة مشاعرها فسألها متعجباً

= ألم تشتاقي إليّ يا أمي ؟

كانت كلماتها تحمل رائحة الشك حين سألته:

: لمن يسجد كل هؤلاء يا (آمون) ؟

سرعان ما انقلب شكها إلى يقين حين رأت صمته يحتل إجابته المُنتظرة.

: يسجدون لك يا (آمون) ؟!! تركتهم يسجدون لغير ما تعبد وأنت الأعلم بمن يستحق السجودَ من دون المخلوقات جميعاً ؟

حاول (آمون) أن يحتال على سؤالها بالتهرُّب منه .

+ أمي انظرى . لقد بتُّ فوق عرش البلاد، لن تُهاني بعد اليوم . ستكون إرادتكِ من إرادة كبيرهم، ألا يرضيكِ هذا ؟

صرخت فيه غير مصدِّقةٍ

: يسجدون لك؟ من دون الله ؟!!

هل صِرت (فرعوناً) آخريا (آمون) ؟

قال (آمون) خافضاً صوته :

= أقسم بربى لم أدَّعِ أني إله، وقد أخبرتهم بذلك .

: وتخفض صوتك؟ لِمَ تخفضه يا (آمون) ؟

تخشى أن يسمعك أيٌ من هؤلاء فتفقد عرشك ؟ أعجبكَ أن تصير إلهاً يسجد له الجُهَّال ؟

صاح (آمون)

= أقسم لم أفعلها ولم أردها .

: إذاً قلها لهم بملء صوتك ، اخبرهم أنك لم ولن تكون إلهاً، أشِر إلى إلهكَ وإلههم و وحد أنظارَهم جميعاً إليه . هيا افعلها .

صرخ (آمون) في الجمع:

= لست إلهاً..... لست إلهاً، ولتشهدوا جميعاً أنني لم أقلها ولن أقولها أبداً، ولتعلموا أن ربي وربكم واحدٌ يسكن السماء ولا ينبغى له أن يسكن الأرض؛ لأنه أكبروأعظم من كل شيء .

ارتفعت الرؤوس المحنيَّة بتشكُّك، كانت كلمات (آمون) تصب على نفوسهم الحيرة والاستغراب، إن لم يكن (آمون) هو الله فما قد يكونه ذلك المجنح الملائكي؟

صاحت (إيجي)

: أيها الناس . لم يكن ولدي (آمون) إلهاً قط فأنا أعلم الناس به، أنا أمه وأعلنها أمام الجميع لأبرأ من كفركم، إلهنا يسكن السماءَ، إلهٌ واحدٌ خلق كل شيء، لا تراه الأعين وهو يرى كل شيء، إلهنا أعظم من أن يجسِّده مجنحٌ يدعى (آمون) .

لم يعد في الجمع من يفهم الحاصل، فتعاركت الفِكَر في رؤوسهم، إلى أن خرج أحدهم من معركته مع الدهشة وصاح في الجمع .

- وإن لم يكن إلهنا ..... فهو ملكنا وعظيمنا، هو من حرر رقابنا من وطأة (أبناء الماء) .

عاش ملكنا (آمون) العظيم .

دوَّت كلماته في آذان الجميع فبدوا كأنهم قد استيقظوا من غفوةٍ طويلة وهم يتبعوا هتافه .

_ عاش ملكنا (آمون) العظيم .

تبدَّل الهتاف إليها فدبَّت الروح في صدر (آمون) من جديد، هو لم يزل فوق كرسيه الذى بدا وكأنه قد أسره كما أسر الكثيرين مِن قبله . ربما لأنه يضيف معنى للحياة لا ندركه حتى نجلس عليه .

******

تأملت (إيجي) غرفتها المهيبة في قصر (فرعون) ، لم تكن تصدق أن يكون مثلها موجوداً بخارج الجنة التي ترجوها من ربها . أغلقت بابَها عليها وصامت عن الكلام حين علِمَت بأمر زواج (آمون) من (ساهي) .

كانت تشعر كأن (آمون) يهجرها لأجلِ غيرها . لم تدرِ سر ذلك الإحساس الممتليء بالأنانية .

- من حقه أن يجد من يملك قلبه، لكن هل فى هذه الدنيا من يحبه أثر مني ؟ حدَّثت نفسها فى مرارةٍ ظاهرة رغم ما صارت ترفل فيه من حرير ونفائس .

- لا أطيق العيش في هذا المكان، أريد العودةَ إلى صومعتي .

كانت تعلم أنها بهذا تهرب من إحساسها القاتل، أنها تفقد أعز ما لديها.....(آمون)، أرادت أن يكون البعد خيارها تاركةً ولدها لحياتة المختارة .

كانت بكل ما فيها تغالب نعاسها لوقتٍ طويل، فمن يحتمل كل ما مضى من دون أن يصيبه الإعياء، ربما أن صمودها في وجه النوم لم يكن قوةً فيها وإنما هرباً من أن تلاقيه في نومها، بمجرد أن غلبها النعاس سمعت صوت ضحكاته المخيفة .

: سيتزوج وسينساكِ وإن كنتِ أمه .

- ابتعد أيها اللعين .

: إنها طباع البشر يا (إيجي)، سيرتمي في أحضانها الدافئة، وأكاد أجزم أن طيفكِ لن يراوده، ولو حتى في الأحلام بعدها .

- كل ما أريده أن يكون سعيدا آمناً .

: ستتركين ابن الشيطان يتزوج من بشرية ؟

إنكِ تخالفين الطبيعة التي فطر الله عليها أرضَه وملكوته.

ستتركينه يفعلها حتى وأنت تعلمين ؟ أي عابدةٍ ؟!!

أقسم أنني وأنا (إبليس) لا أجروء على فعلها، وإلا كان أبنائي يرتعون في بطون البشر منذ البدء .

- لا تحاول أيها اللعين . ليس ابنك . إنه ملَك .

: ليكن ملَكاً كما تدَّعين . فهل تتزوج الملائكة ؟ أي هراء تعتقدين فيه أيتها العابدة ؟

- إنه أمر الله .

: كل شيء بأمر الله؟ أن يُضيع عمركِ لأجله ثم يهجرك أمر الله .أن أُحرم من ولدي أمر الله . أن يتزوج ممن حرَّم الله عليه أمر الله . أي أمرٍ هذا ؟ لمَ لا تكون أوامره مرضية للعقل ؟ إلى متى سنظل نحقق إرادته من دون وعي ؟ هل تعلمين ؟ حين تذكَّرت أني كدت أسجد لعجينة من الطين أموت من الضحك، أين حريتنا التي سيحاسبنا عليها؟ لو كان الأمر بيدِكِ لما كشفتِ

لمخلوقٍ سر (آمون) لكنه أمر الله أن يُفضح السر ويُعلن على الملأ لتعاني الوحدة؛ والوحشة بقية حياتكِ.

- وفِّر عليك كلماتك الخبيثة، فلن تصل إلى غايتك مني .

ضحك (إبليس) مستهزءاً .

: أتعلمين ؟ لقد أعجبَ (آمون) أن يكون إلهاً . هل رأيتي رأسه المناطحة للسحب حين دخلتي إلى مجلسه الجديد ؟

- ربيته ولن يخذلني ربي فيه، وهو الأعلم بأني أديت رسالتي على النحو الذي يرضيه .

: بدأ يحمل طِباع البشر يا (إيجي)، من يعاشرهم يحمل طباعَهم الجيد منها والرديء، وفي الغالب سيصير منهم .

- سيصير ما قدَّره الله له . أما أنت فلتحترق في أعماق الجحيم ولترحل الآن .

: سأرحل يا (إيجي)، لكن عيني لن تغفل عن متابعة إلهنا الأعظم (آمون)، لن أتركه لحظة حتى أعرف الحقيقةَ التي مازلتي تنكرينها كاملةً .

هبَّت فزعةً من نومها تحمل في صدرها قلباً يحترق ويتآكل خوفاً على ولدها الحبيب ابن ..... ابن الشيطان .

******

عندما تبتسم الأيام في وجه أحدنا عليه أن يتأكد أنها لا تكشف له أسنانها فحسب، فربما لا تكون ابتسامة في الأصل، لكن (آمون) كان يراها أجمل ابتسامة منذ أن قابلَ الحياةَ، لا يمكن لها أن تكون خدعةً، حتى ظن أنه يسيِّر الحياةَ على هواه .

يسكن قصراً مهيباً يفوق أجمل أحلامه، يجلس فوق عرش (مصر) التي تحيا بمعشوقه (النيل)، كل الناس بمن فيهم (فرعون) عبيدٌ له، لا يفصل بينه وبين حبيبته سوى أن يأمر فتأتيه، تلك التي ظنَّ من قبل أنها ليست له .

كل أمنياته تتحقق في آن واحد، ولأنه قوي كان يمكنه تحمل السعادة الغامرة حين جلست (ساهي) إلى جواره في شرفة القصر.

= لم أكن أعلم أن للحب هذا الأثر العجيب .

+ أجمل ما فيه أنه يمنحك القدرة على التسامح .

= كنت أعلم أنكِ لن تخدعيني .

+ لا يمكن للعاشق أن يخدع معشوقه، فقط خُلِقتُ من الطين وكتم السر يقتله، عندما غبتَ عني لأيام لم أحتمل الحياة وخرج سري رغماً عن حبي، لكن صدقني كنت لأموت فداءً لك، كنت أعلم أن ذهابي وراء جنود فرعون سيقتلني، لكني جد أحبك أكثر من حبي للحياة .

= سامحتكِ حين نظرت في عينيكِ، يقولون أن العين هى مرآة الروح وحين غصت في عينيكِ صدّقتكِ أكثر. لم أكن أدرك أنني أحبك كل هذا الحب

+ لكني أدركت حبي لك أول مرةٍ رأيتك فيها، كنت أعلم أنني لن أجوز لغيرك ولا حتى للموت، خاصة بعد أن رأيت نظرةً في عينيك تشبه تلك التي تطل علىّ الآن .

= لست أدرى لمَ أرى وجه (إيجي) في ملامحكِ .

+ ربما لأنها أول من أحبتك، لكن صدقني سأحبك كما لم يحبك مخلوقٌ في الكون، فأنا عاشقة حتى الثمالة .

= كنت واثقاً أن الأيام ستحمل لي الخير والهناء، لكن ما يقلقني صوم (إيجي) عن الكلام وكأنها لا تزال تنتظر شراً محيطاً .

+ هي لا تستطيع التصديق حتى الآن .

= نعم . هناك ما يصعب تصديقه وإن بات واقعاً وبين أيدينا كما نحن الآن، ما زلت لا أصدق أنكِ ستصبحين زوجتي بعد يومين فقط .

+ ملكتني منذ أن رأيتكَ أول مرّة .

= أحسستها مثلكِ ولم أفقد الأمل حتى عندما خفت منكِ أول مرة .

+ والآن ؟

= لا أدري لماذا أخاف عليكِ ونحن نملك الدنيا .

+ (آمون) .... زال الخوف .....ويبقى الحب ..... الحب فقط .

******

كان خبر زواج (آمون) و(ساهي) هو كل ما يشغل بالَ المصريين، بدَّلت (مصر) لباسها لترتدي ثياب العُرس، كانت البلاد تبدو حلوة في عيون أهلها فأصابهم الفرْح، حتى أن (مصر) بحالها لم يعد فيها متخاصمَين ولا متناحرَين، كأن السلام قد اختار أن يحطَّ فوق أرضها من دون العالم كله .

إنها لحظة إسعاد محبوبهم ومخلصهم (آمون)، تلك اللحظة تستحق من كل من اعتبره إله أن يتابعها بشغف .

بدا قصر (فرعون) قنديلاً يشع نوره في كل أنحاء البلاد، طولها وعرضها، يغمرها ويفيض.

آن الأوان ليلتقي حبيبَي الشعب أمامهم وكلهم فرح لفرحهم، يباركون سعادتهم الآتية، ويقدمون فروض الولاء والطاعة لملكهم ومليكتهم المعظمين

فُتحت أبواب القصر السبعة أمام جموع الشعب فأضحت الجنة ظاهرة في أعين المصريين، تفتح ذراعيها لجموعهم الغفيرة . الغريب أنهم لم يعودوا يفكرون في الطعام والشراب ولا حتى اللذة، فقط رؤيتهم ل(آمون) سعيداً هو كل رضاهم .

تبدَّلت الرؤوس والأفكار، غيَّرها انبهارهم بملكهم الذي رضوا عنه وزرعوا حبه في قلوبهم الخضراء بأيدهم .

توافدت أسراب المصريين عبر أبواب القصر إلى ساحته الشاسعة والابتسامة تتواصل بين وجوههم، منتظرين أن يُفتح الباب ويطل عليهم (آمون) وزوجته فتنفجر الحناجر بالهتافات، حين فُتح الباب ظهر (آمون) إلى جوار عروسه الساحرة كإله حقيقي، كان يفيض بنوره على الوجود فلم يحتملوا، أغلقوا عيونهم أمام ضيائه وساد سكونٌ يشبه صلاتهم .

بدأ وعيهم المسلوب بفعل السحر والجمال يعود من جديد، وبدأت ألسنتهم تحيا مرة أخرى، أخذت الهتافات تعلو للسماء - عاش (آمون) ملكنا المعظم، عاش (آمون) العظيم - .

حيَّاهم بسعادة زادت من التهاب حناجرهم، تأمَّل الجموع الغفيرة في ساحته، رضى عنهم ثم عاد ليدخل بلاط قصره حيث كبار (مصر) يحتفلون بملكهم ومليكتهم .

جلس فوق كرسيه وأجلس (ساهي) إلى جواره لينحت في عيون الجميع اسطورته الخالدة؛ مادامت الحياة.

اقترب (نف) من ابنته وقبَّل رأسها بقدسية العُرس لدى (الفراعنة)، ثم انحنى إلى (آمون) الذي منحه ابتسامة رفعته في أعين الحاضرين، بدأ الجمعُ يفعلُ المثلَ، كلٌ يحاول الحصول على رضاء (آمون) وعاد الكلام .

كانت الأحداث تسير في اتجاهها الطبيعي من دون مواربة، كل الأشياء تعبِّر عن سعادتها فقط لتُسعد الزوجين، ظهرت (إيجي) في مدخل البلاط، لمحها (آمون) فرفع يده ليخيِّم الصمت على المكان . نهض واقفاً وهو يهتف في سعادة الأطفال الفرحين بأمهاتهم

= أمي ..... (إيجي) .

كنت أعلم أنك سترضين، لأني ابنك الذي يحبك وتحبيه.

تصنَّمت (إيجي) وكأنها حجر لا ينطق وعيناها تحبسان نهراً من الدمع .

= أمي.....

أخذ يقترب منها - الآن يكتمل الفرح عندي وعند كل المصريين .

غالبت (إيجي) صوم لسانها وبدأ مخيط فمها ينفتحُ بصعوبةٍ بالغة :

(آمون)..... ولدي..... أرجوك لا تفعلها، لا يمكن لهذه الزيجة أن تتم .

حلّ الذهولُ مكان الصمت وظهر في وجه (آمون)، الذي سألها

= ماذا تقولين يا أمي ؟

قالت مؤكدةً كلماتها السابقة :

لا يمكن لك أن تتزوجها يا ولدي، إنها بشريةٌ .

= وأنا ملَك يا أمي أم نسيتي ؟ أي شرف للبشري أن يتزوج ملك .

: (آمون) ولدي . أنا أعلم الناس بك..... أطعني ولا تفعلها إن كنت بحق أمك التي تحبها .

= أطيعكِ ؟!! في ماذا ؟ في قلبي؟ أطعتكِ من قبل وخفت البشر، والآن ترينهم كلهم عند قدمي بكل رضاء، عشت عمري وحيداً أفتقد الآخرين وقلوبهم التي تحبنى الآن، لم أتأفف للحظة عشتها بعيداً عن الدنيا لأنني كنت معكِ، فلماذا تفعلين هذا معي الآن؟ تريدين أن تفسدي فرحتي التي ألقى الله بها في طريقي ؟ ليس ذنبي أنني ملكٌ، سقط إلى الأرض من دون معصيةٍ أو فساد .

قاطعته أمه صارخة فيه، بكل ما يعتمل في صدرها من لوعة:

: لستَ ملكاً .

ظهر أثرُ قولها على وجه (آمون) الذي حمل كل ما في الدنيا من دهشة واستغراب، تلفَّت في أعين الحاضرين وتأمل تلك النظرة الخائفة في عينى حبيبته .

= ماذا تقولين ؟ لست ملكاً ؟!!!

: (آمون)، أرجوك يا ولدي دعنا نرحل عن هنا، لقد بذلت عمري لأجلك، اكتفيت بك عن جميعهم . ألا ترضى بي يا ولدي الحبيب ؟

= لست ملكاً ؟!! فأي شيء أكونه إن لم أكن ملَكاً ؟ وسامتي، أجنحتي، قوتي كلها تعلن أني ملَك. إن كنتِ لم تسامحي (ساهي) حتى الآن، فقد سامحتها، ويجب أن تسامحيها. تعلمين لماذا ؟ لأنك من أخبرتني بأنها بشر والبشر يخطؤن، وإن كنتِ تظنين أن زواجي سيأخذني منكِ فأقسم أن هذا لن يحدث يا أمي، انظري في عيني وعينيها، أنتِ تعرفين صدق العيون، أقسم أنك ستبقين أمي وسيدتي وحبيبتى التي علمتني كل شيء، أكثر من أحبني فوق الأرض التي زرعتي حبها بداخلي، أرجوكِ يا أمي لا تكذبي علىّ لأجل شيء لا حيلة لي فيه . قلبى يا أمي .

انهمر سيل الدموع الساخنة من مقلتيها وهي تقول :

صدقني يا ولدى الحبيب . لست ملكاً فالملائكة مخلوقة من النور .

سألها ذاهلاً

= وأنا ؟

: لا تسأل أرجوك يا ولدي حتى لا تقتلني .

تابع بعنادٍ واضح

= وأنا يا أمي . من أي شيء خُلقت ؟

دفنت وجهها بين كفيها لتواريه عن عيني (آمون) وقالت :

لو أردتَ أن تعرف فانزل إلى ماء (النيل) الذي حُرِمْتَهُ رغم عشقك الشديد له .

= سأحترق .

تحشرج صوتها وكأنها تنتزعه من حنجرتها انتزاعاً

: بل..... ستنطفيء يا..... ولدي .

= هل تعنين أني..... أني مخلوقٌ .... من .....

: خلقتَ من ..... نار يا (آمون) . أنت مخلوقٌ من نارٍ يا ولدي وليس من النور .

قالتها وانهارت غير محتملةٍ ذبحها لولدِها الحبيب بسكين الحقيقة .

برقت عينا (آمون) رغم أنها لم تكن ترى أيَ شيء لحظتها، لكن الأعين المحدقة شدّته إليها، وأقواها على الإطلاق عينا (ساهي) حبيبته، تاه في العيون جميعها، بدأ يشعر بقسوة عضتها، تمالك ما بقى منه وصرخ فيهم

= إلام تنظرون ؟

ترى الآن عيونكم (آمون) غير ال(آمون) . سقط إلهكم الذي تبعتموه مع أول كلمةٍ، لم يعد ملكٌ كما خُيِّل إليكم، اللعنة على كل شيء، اللعنة على ما كنت أبدوه وعلى ما أكونه في الجقيقة . اللعنة عليكم .

التفت إلى(ساهي) الذبيحة بما تسمع:

اللعنة على قلبي، وعلى تلك الكذبة التي ربتني عليها (إيجي) .

. عاد إلى أمه .

قتلتيني بيديكِ يا (إيجي) ومن دون رحمةٍ، قتلتيني حين كذبتِ في البدء، و تقتلينني الآن بالحقيقة .

لماذا فعلتيها يا (إيجي) ؟ كنت سأرضى بطبيعتي لو علمتها، أما الآن فنقمتي ستطول كل شيء .

فرد أجنحته بقوةٍ أرادها أن تبقى في العيون وارتفع لتأكله السماء، غاب عن الأنظار ربما ..... للأبد.

تراجع الحضور حين طار (آمون) من بينهم كاشفين بلاط القصر لتظهر (إيجي) راكعةً على ركبتيها تبكي .

اقتربت منها (ساهى) ببطء ودمعاتها تسبقها .

+ أى شرٍ فعلتيه يا (إيجي) !!

حين سمعت صوت (ساهي) امتلأت عيناها بالقسوة وفاضت، التفتت إليها :

الشر منكِ أنتِ . أنتِ من أغواه.....وأنتِ من أنهاه .

وجدته يصرخ في بطن مسخٍ أحرقَهُ (النيل) وحين لامس ماء المطر علمت ما قد يكونه، رغم هذا حفظته من كل شرٍ، لأن الله أنجاه من قلب النهر، من قلب الموت، اذاً فهو يريد له الحياة، ربطتُ له أجنحته وربيته بعيداً عن كل الأعين، استغنيت به عن كل شيء، كنا سعيدين حتى جئتِ أنتِ وأطلقتِ جناحيه للسماء وما أوسعها، تتوه فيها كل الأشياء حتى وإن كان (آمون) نفسه.

ألجمت الصدمة كلَ الحاضرين، أما (ساهي) ماتت تقريباً وهي تسمع تلك الكلمات التي لم تُدرك أكثرَها . لم تكن تتخيل للحظة أنها ذبحت (آمون) حين أحبته بكل صدقٍ، لم تكن تتخيل أن كل شيء بدأ من عندها هي، وفى سط الحضور كان يقف (إبليس) منتحلاً شخص أحد جند (فرعون)، كان يريد أن يسمع كلماتها منذ فترةٍ، الآن تكشَّفَت له الحقيقة، إنه ولد (ميرو) التي أحرقها غمراً في ماء (النيل) منذ سنوات، ربما أن ثورته كانت قد أنسته

طبيعة حملها، (ميرو) التي أبت أن تخمد نارها دون أن تترك بدنياه ما يؤلمه مرة أخرى، (ميرو) الوحيدةُ التي كشفت تلك النقطة الضعيفة في قلب (إبليس) ولو عن غير قصد .

******

كانت نيران (إبليس) تشتعل حول عرشه، أخذ يدور حوله من دون وعى منتظراً (سيرائيل) الذي أمر بحضوره . لم يطل انتظاره رغم أن التهاب النار فيه أوحى إليه بأن سنوات قد مرت من الإنتظار، دقائق معدودة حتى مثلَ (سيرائيل) بين يديه .

صرخ (إبليس)

: أين كنت أيها اللعين ؟

خرجت كلماته مرتجفة وهو يقول

- مولاي ... كنت في المسلخ، لم تمر دقائق معدودة حتى.....

قاطعه (إبليس) وكله غضب حارقٌ وجديَّة .

: اجمع قدر ما تستطيع من الشياطين، اجمعهم كلهم، ليحترق العالم أو ينصلح، لا تهتم بأمر غواية البشر الآن وابحث عن (آمون)، جئني به حياً. هل سمعتني ؟ أريده حياً من دون أذى، هيا اسرع .

- أمرك مولاي وسيدي .

انصرف (سيرائيل) من أمام أبيه بينما الشيطان يلهبه الجنون .

: كنت على يقينٍ أنه ابني، لكن أن يكون ابن (ميرو).....؟؟؟؟ لماذا عادت سيرتها إلى الوجود ثانية؟ لماذا لم تمت وتأخذ ذكراها معها إلى قاع النهر فحسب؟ عذابٌ عذابٌ عذاب . هل تستحق فعلتي كل ما يجرى ؟ عندما يركع عند قدماى لا أعرف ما قد يحدث، وأكيد أن ابن (ميرو) أيضاً لا يتخيل .

******

أخذت (إيجي) تسترجع ما ترتب على بوحها بالسر، كان السقف قد تهدّم فوق الجميع، (ساهي) التي أصابها المس منذ لحظتها وأضحت لعبة بين كفي الجنون، صامتةً، تضحك أحياناً وتبكي غالباً، (آمون) الذي فارقها وللأبد. قلبها الذي مزقته بيدها، كانت على يقين أنها قد أنهت الحكاية كلها ولم يعد هناك سبيل للعودة مرة أخرى، قطعت خيطاً كان متيناً ربطها ب(آمون) لعشرين سنة .

عندما راحت في النوم الذي صار أعظم مآسيها على الإطلاق انفتحت بوابةُ الرؤى و جاءها رسولُ ربها .

: أخبرتكِ أن نهايته ستكون على يديكِ أنتِ ولم تحذري .

- لماذا يفعل بي ربي هذا ؟

: هو الوحيد العالم بخبايا الأمور، الوحيد الذي يسأل ولا يُسأل .

مالي أري الإيمان يرتعد في صدركِ يا (إيجي) ؟

حذرتكِ وذكَّرتكِ أنكِ أمه لا شيء آخر.

- كنت أمه حتى النهاية .

: هل تعتقدين الصدق في ما تقولينه يا (إيجي) ؟

- ماذا تقصد أيها الرسول ؟

: لقد عشقتيه، ابنكِ (آمون)، ذلك الملَك، هدية الله .

- عشقته ؟

تساءلت في نفسها غير مصدقة

: نعم عشقتيه يا (إيجي)، لم تملكي مشاعركِ أمام شبابه وسحره، وقعتِ في عشق من لا يجوز لكِ وأنتِ لا تدرين .

- أعشق ابني ؟!! كيف ؟!!

: أنت تمسكين بذلك الإحساس الذي تنكرينه الآن، لقد فضلتي نهايته على أن يكون لأخرى غيركِ . العشق قد يكون الحياةَ كما هو الموت أيضاً .

- كنت أخاف عليه منها . خفت عليه طيله عمره من كل البشر.

: لم يكن ذلك خوف بل انتقام يا (إيجي)، رويتي قصته في وجه الشيطان مع العلم أنكِ تضعين روحه على المحك، كل هذا لأنه اختار أخرى ليحيا إلى جوارها، لم تصدقي أنه سيعود إليك بعد أن أخذته (ساهي) .

(صاحت)

- لا تذكر اسمها .

: الغيرة الحمقاء تقتل الجميع . نسيتي أنكِ أمه .

- أقسم لم أنسَ .

قاطعها :

لا تقسمي يا (إيجي) فالله يعلم قدر العشق الذي يحمله قلبكِ لولدكِ (آمون) .

- ولمَ تركني الله أعشق .

: لم يتركِ وأنتِ تعلمين. حذّركِ بكلماتي لكنكِ لم تفهمي، ولنكن أكثر صراحة، انتِ ما أردتِ الفهم وعشقتِ ولدكِ . كان اختباراً يا (إيجي) .

- اختبار؟؟

: واختبار العابد في قلبه، أنتِ لم تنجحي يا (إيجي)، القلب يخدع صاحبه وقد فعلها .

كانت كلمات الرسول تكسّر رأس (إيجي) وتفور فيها حين أفاقت، حتى باتت لا تعلم إن كانت نائمةً أو مستيقظة .

كانت تود لو أن كابوسها يقتلها، أو يرحل، أمسكت برأسها وأخذت تصدمها بالأرض، وكلمات الرسول تطن .لم تنجحي يا (إيجي) ....لم تنجحي .

******

عاد (آمون) إلى حيث اعتزل البشر أول مرة، استقر فوق الجبل الذي يعرفه وربما لا يعرف غيرَه، وكأن الجبل هو الذي اختاره وليس (آمون)، كانت الأحداث ترتسم في عينيه والذكريات تطفو على السطح .

أمه (إيجي) التي عاشت عمرها لأجله كرهها حين ألقت بالحقيقة في وجهه، حين أحالت فرحته مأتماً .

اجترَّ كل ما جرى، كلَ شيءٍ، كان هناك جزء ناقص من الحكاية وأبشع الأمور أن تمتلك حقيقةً ناقصةً، لم يستطع الاستمرار، عاوده الحنين، ودّ لو لاقاها ثانية وارتمي بين ذراعيها وأحس بدفء حضنها الذى يفتقده الآن، لكنه الآن يعلم ما يكونه من دون أى مواربةٍ أو تجميل .

ربما كانت (إيجي) محقةً حين منعته عمره عن البشر، وربما أنها أخطأت حين لم تُعلِمه بأصله من البداية، على الأقل أنشأته على عبادة الله حتى وإن كان ابناً ل(إبليس) .

أى حماقة كان سيرتكبها في حق (ساهي)، لو كان قد تزوجها بالفعل، لا يمكن لطبائع الأشياء أن تتبدل، كان لابد لأمه أن تتصدى لتلك الزيجة حتى ولو ألزمها الأمر كل تلك القسوة .

إنه ابنٌ للشيطان تلك هي الحقيقة، الحقيقة التي فُرضت عليه من دون أي خيار.

رفع رأسه للسماء، ودَّ لو أنه نطق بشيء لكن خجله من أصله الذي عرفَ أخرسَه، خجل من الإحساس الذى تملّكه حين رأى الناس يخرون تحت قدميه ساجدين، لم تمنعه معرفته بربه من أن يصيبه الكِبر، صمت لسجودهم بل واستمتع بعليائه، ربما أن إيمانه لم يكن بالقوة الكافية وقتها أو هو كذلك دائماً .

اختار أن ينعزل عن الوجود حتى النهاية، أن يبتعد فلربما نسى أصله الذى قتله .

حتى وإن كان ابناً للشيطان فعلى الأقل هو لم يتبعه، قرر أن يتناسى أصله والذى يعلم علم اليقين أنه سيتبعه أينما حلَّ .

وجد نفسه يرتمي على الأرض، يسجد لربه ويكرر باكياً بحرارة

-سامحني يا إلهي..... سامحني يا الله، أنت من خلقت القلب وعلمته أن يعشق، لو كان الأمر بيدي لاقتلعته وغسَّلته بماء (النيل) فلا يبقي فيه إلا حبك وحدك . سامحني يا إلهي وإله العالمين .

أحرقت دموعه موضع سجوده، وصار علامة لكل من جاء بعده، مرت أيام وأيام، حاول أن يتعايش فيها مع ألمه، حبس شكواه فى صدره، فربما تطهر من ذنبه، وغفرله ألمه بعض ما قد فات.

******

مر وقتٌ قصير حتى علم (سيرائيل) بمكان (آمون) وعندما لقيه كان لم يزل ساجداً لربه . كان يتبعه ألفٌ من خير جند الشيطان كلهم مسخرون لأجل شيء واحد . هو أن يعودوا ب(آمون) حياً .

حين رفع (آمون) رأسه من سجدته، وقع بصره على (سيرائيل) ذلك المسخ المقيت المنتصب أمامه متأملاً إياه، وكأنه يسترجع ذاكرته التي أحبت هذه الهيئة وتشفق على حاملها الآن .

من خلفه اصطف باقي جند الشيطان .

لم يعد للخوف معنى عند (آمون)، زالت مفردات كثيرة من قاموسه منها الخوف، لذا سأل متقدمهم بهدوء لا يتوافق مع هيئة الدخيل أبداً

+ من أنت ؟

أجابه (سيرائيل) مستعيراً نفس هدوءه العجيب:

: أخوك .

متعجباً

+ أنت لا تشبهنى .

: بل أنت الذي لا تشبه باقي اخوتك. ربَّيت مثلَك من قبل، كان يملك نفس سحرك وللأسف ستشبهنا جميعاً عن قريب، نحن اخوتك يا (آمون)، اخوتك من أبيك (إبليس) وأما أنا فاسمي (سيرائيل) .

+ وأي ريحٍ ألقت بك إلى مكان تعبدي يا (سيرائيل) ؟

ضاحكاً :

قامت القيامة الآن، ابن الشيطان يتعبَّد ؟! أرسل والدُك في طلبك وهو الآن منتظر، أنت لا تعرف كيف يكون غضبه حين يمل الانتظار وأتمنى ألا تصادفه أبداً .

+ الشيطان ينتظرني ؟ بقى أن تخبرني أن قلبه يقتله شوقاً للقيا ولده الحبيب .

: الشيطان تجرد من القلب منذ زمن وهو الآن ينتظرك، هل ستأتي معنا طائعاً ؟ أم ستضطر أخوك أن يجبركَ ؟

+ قاربت العشرين من عمري وهو الآن ينتظرني ؟ قل له أني بريء منه، لم أعرف لي أباً من قبل ولست بحاجة إلى مثله الآن .

مستهزءاً :

: وهل سيغيّر قولك هذا من الواقع في شيء ؟ هل سينفي هذا أنّك من نطفته الجنيّة ؟ هل ستنطفيء النار التي منها خلقت ؟ أم سيحولك إلى ملَك كما كانت تخبرك (إيجي) ؟ أنت ابنه وهو أبوك رضيت أم أبيت . هذا هو الواقع الذى لا مفر منه، اسأل ربك سيجيبك إن أراد .

قال متحدياً بشراسة:

+ لن يرغمني شيء في الوجود على الذهاب إليه .

فرد أجنحته العظيمة فى وجوههم، مستجمعاً كل ما أدركه من قوة بجسده

: ليس لك أي خيارٍ في هذا .

وفى لحظة كانت شبكة من الحديد البارد قد ارتمت عليه، حاول جاهداً أن يفك أسره، لكنه كلما حاول التملص كلما زاد الأسر وانقبضت خيوط الحديد أكثر لتزيد آلامه، أدركَ أنه لا مفر، لم يجد بداً من أن يهدأ موفراً طاقته، وحمله جند الشيطان إلى حيث عرش أبيهم (إبليس) الذي أشاطه الانتظار.

******

حين ارتمى (آمون) أمام عرش (إبليس) كان جالساً فوق عرشه، واضعاً قدماً فوق قدمٍ وكله كبر وشموخ، كان يريد أن يبدو في عينيه إلهاً مرئياً غير ذلك الذي يعبده (آمون) من دون أن يراه . تأمل ولد (ميرو) التي لم يستطع مر السنون أن يطيِّب جرح قلبه الذبيح، وجد في ولدها ما يمكن أن يؤلمها حتى بعد موتها .

أشار إلى (سيرائيل) الذي اتخذ مكاناً خلفياً، هارباً مما قد يسفر عنه ذلك اللقاء الملتهب . أن فُكَّ قيده .

نهض (آمون) نافضاً عن جسده عناء الأسر مواجهاً إياه ومتظاهراً بشيء من عدم الخوف، رغم أن مشهد (إبليس) فوق عرشه قد أرعبه حتى النخاع .

أتى صوت (إبليس) جهنمياً

- أخبرتك أنَّك ولدي فلم تصدِّق وقتها .

+ ليس لي أب .

- تتبرأ مني ؟ أهذا ما قد علمك الذي تعبده ؟ لكني أعذرك تماماً فأنت لا تشبه أياً من اخوتك، ..... حتى الآن .

+ لن يجعلني المسخ ابناً لك . أنت شيطان .

صرخ (إبليس) في وجهه، فارتج المكان بما يحويه:

- أنا الشيطان. أنا أصل كل الشر في هذه الدنيا، أنا الوحيد الذي يستحق لقب الآخر والأخير.

.استرد هدوءه مكملاً. ألا يمنحك هذا فخراً أن أكون والدك ؟

حاول (آمون) أن يبدو متماسكاً:

+ يمنحني مذلةً لا يشعر بها إلا من كان يؤمن بالله .

ساخراً – أفسدتك (إيجي) على أبيك، تلك المخادعة التي ظلت تكذب عليك طيلة عمرك، لكني سأصلح ما قد أفسدَته اللعينة .

نادى في جُندِه

- جروه إلى المسلخ ربما عَلِمَ أنه مني .

على الفور أحاط به جنود (إبليس)، سحبوه إلى المسلخ من دون أن يبدي مقاومة .

موجهاً كلامه إلى (سيرائيل)

- اسلخه بيدك وأعلمني بعد الانتهاء، أريده أن يرى حقيقته .

وبعد الفجر اغمره في ماء (النيل) .

أصابت الدهشة (سيرائيل) الذى تساءل

: ولمَ يا سيدي؟! لم تقتله؟

انفتحت بوابة جهنم مع صوت (إبليس) الذي صرخ في وجهه

- تجروء أن تسألني أيها اللعين ؟

لملم (سيرائيل) شتات نفسه وقد أدرك عِظم فعلته .

: سيدي وإلهي حاشاى أن أسأل مجادلاً، كنت أود أن أعرف سره فقط

- تريد أن تعرف سرَّه ؟ يبدو أنني نسيت أن أخبرك، هو ابن (ميرو) الخائنة، وضعَته في ماء النهر بعد أن احترقَت، منعته بجسدها أن يحترق، قدَّرت له الحياة لتتعذب به في موتها، (ميرو) التي كشفت أنت سرَّها من قبل والآن اذهب وافعل ما قد أمرتك .

طفحت الذكريات الأليمة في رأس (سيرائيل)، ارتسم وجها (ميرو) وابنها في عينيه، عاد شعوره بالخسة والدناءة الذي طالما حاول الهرب منه، وجد نفسه يفتح فمه من دون أى وعى.

: وأي ذنب اقترفه ليموت سيدي ؟

- أرى فيه وجه (ميرو)، أريد لها أن تموت أكثر.

: سيفقد وجهه إلى الأبد يا مولاى، أليس هذا كافياً .

بدت الدهشة والتساؤل على وجه الشيطان فقال فى شكٍ

- أراك تدافع عن ولد (ميرو)، لِمَ تريد له أن يفلت من الموت ؟

مرتبكاً :

لأنه ..... لأنه أخي سيدي .

قطعت غضبة (إبليس) باقي الحوار:

- أخوك؟ هل أحببتَ هيئتَه؟ أحببتَ من لا أحب؟ جرؤت على مجادلتي أيها اللعين؟ يبدو أن في ملكي أشياءً تغيرت، اغرب عن وجهي وإلا أطفأت نارك النجسه وافعل ما أمرتك من دون سؤال، هيا اذهب . بعدها سوف أشق صدرك لأعلم سر قلبك المتألم لأخيه .

لم يجروء (سيرائيل) أن ينتظر في حضرة الشيطان لحظة أكثر، انصرف من أمام ثورته، كان يعلم أن الشيطان لن ينسى الحوار الذى تم ويعلم أن ما ينتظره أقسى من أن يتصوره، لكنَّ شيئاً في نفسه كان يود العودة وقول الحقيقة كلها، رغم كل شيء وأي شيء .

أما (إبليس) فقد تحولت شكوكه إلى سرٍ يريد أن يسبر أغواره .

******

عندما دخل (سيرائيل) على (آمون) محبسه كان الفجر قد أوشك على الطلوع، وكان (آمون) جالساً القرفصاء مكوماً جسده إلى الجدار وكأنه يتخفى في صخره، يدفن وجهه بين قدميه في خنوع .

عاودته ذكرى خيانته ل(ميرو)، وُلدت آلامه من جديد وضغطت بكل قسوة على روحه فلم يعد يطيق . اعتقد أن فعلته و(ميركو) قد ماتت، لكن لا شيء يموت، لا شيء أبداً . ناداه بهدوء لا يتفق مع نار خلقته

: (آمون) .

رفع (آمون) رأسه إليه في بطءٍ شديد حتى بانت ملامحه الجديدة، قد صار واحداً منهم، مسخاً لا يختلف كثيراً عن باقي اخوته، اللهم إلا حزنه الذي بدا أصيلاً في وجهه الجديد .

كان وجه (آمون) يحمل اللعنة على (سيرائيل) إلى عنان السماء، الذي مسخه بيده، لم يمنعه ألمه من أن ينفذ أمر الشيطان، فقد كان سيُتم الأمر حتماً، اختار أن يفعلها بيده علَّه يكون أكثر رحمة بأخيه العزيز.

بدا الحزن على نبرات (سيرائيل) بوضوح

: لا أجد ما أقوله كي يشفع لي عندك، لكن لا تحزن يا (آمون) . لا تحزن يا.....أخي .

كانت كلمة – أخي - التي نطقها (سيرائيل) صادقة، حتى أنها قد لمست نقطة بعيدة في قلب (آمون) نفسه . فقال حزيناً:

+ أترى ما قد صرت إليه ؟

: لا أقدر أنا أو أي في مملكة الشيطان أن نعصى .

+ أبوك أنت وحدك أما أنا فلا .

: أُدرك كل ما تقول وأحس بنفس شعورك الآن، ربما أكثر.

+ لن تدرك إحساسي، تملك نفس الوجه لكنك لم ترَ غيره .

: رأيتكَ ورأيت غيرك من قبل، وأصابني الحزن مرتين، واحدة لك وثانية لأخيك ابن (ميرو).

+ ومن يكون ابن (ميرو) ؟

: لا يهم ابنها، المهم (ميرو) . صدقني يا أخي، أعلَم عنك ما لا تعلمه أنت .

+ لم أعد أريد أن أعرف أي شيء، لم يعد هناك معنى عندي للحياة أو الموت .

: لكنك لابد وأن تعلم الحقيقة. أنت ولد (ميرو)، (ميرو) التي غمرتها وابنها بيدي هاتين في ماء (النيل) . (ميرو) التي لم يحب الشيطان أحداً قدر ما أحبها ولم يكره قدر ما كرهها .

+ وهل يُحَمِّلنى (إبليس) كراهيته لأمي ؟

: نعم هو ذلك .

اعتَقَدَ أنها خانته مع أحد أبنائها، حفظته على صورته الجنية كما كنتَ أنت، ولم يعلم أي شرٍ دبرته (ميركو) أولى زوجاته وأمي، كنت أعتقد أني أمنعها من أن تقتل نفسَها فوجدتني أقود اثنين من أكثر من أحببت إلى الهلاك بيدي . (ميرو) الخطأ الرقيق في دنيا الشيطان، وولدها الذي ربيته على يدي، حافظت عليه فى صورته الأصلية وكرهت الشيطان لأجله، ثم

ألقيت به في أحضان أمه ليراها الشيطان ويظن أنها تخونه مع ولدها . اعتقدت للحظة أن السر قد احترق معها في النهر، لكن الحقيقة لا تموت أبداً يا (آمون) . عشرون عاماً، وأجدني الآن أكرر نفس فعلتي التي هربت منها سنوات، وخاصمت لأجلها (ميركو) حتى النهاية، أمرني (إبليس) أن أغمرك في نفس النهر عند الفجر لا لشيء إلا لأنك ولد (ميرو) . (ميرو) التي راحت ضحيةً لشري، وشر (ميركو) أمي .

كانت الكلمات التي نطق بها (سيرائيل) غريبة على أذن (آمون)، وعجيبة أيضاً .

+ أي قصةٍ شيطانية ترويها يا (سيرائيل) ؟

: هذه هي الحقيقة يا (آمون)، خرجت من بطن (ميرو) التي حملتك وحفظتك من الماء، بدأت القصة حين ألقت بك الأقدار عند (إيجي)، والآن قاربت على الانتهاء . أتعلم ؟ كنت أعتقد أن (إبليس) قد نسى (ميرو)، لكنني فوجئت أنها مازالت تتلبسه، بل وأجزم أنه لن ينساها، خلقت العذاب لأبي ولنفسي حتى النهاية .

لم يكن يعلم كنه الإحساس الغريب الذي اعتراه، هل يمكن لابن الشيطان أن يندم على فعلةٍ شريرة، إن الندمَ ملمحٌ من ملامح الخير، فكيف ينبت الخير في كتلة من الشر الصافية، ربما أنه لم يكن شراً صافياً، وربما أيضاً كان أبوه اللعين، فكل بني جنسهم يعلمون أن الله موجود بل وأكثر من (بني آدم) أنفسهم، إن جزءاً محاه (إبليس) من نفسه ونفوس أبنائه أيضاً، لا لشيء سوى تنفيذ العقد المبرم بينه وبين خالقه، لكن لا شيء يزول كاملاً، الخير لا ينتهي .

+ عجيب أنت يا (سيرائيل)، إنه لا يتألم لذنبه إلا من كان يحوى قلباً في صدره .

: أنا مخلوق وأى مخلوق يملك واحداً، لكننا نذكره أو نتناساه حسب هوانا .

+ لكنك شيطان !

: وحتى الشيطان الأول لم يزل قلبه يؤلمه، ويود أن يقتلك علّ الألم يزول

فى تلك اللحظة فُتِح الباب، وبدا (إبليس) واقفاً فى سُدَّته، جمر عينيه يلتهب ويبعث برسالة من الجحيم، كان قد سمع كل شىء، من البداية وحتى النهاية .

******

كان مشهد (سيرائيل) ينطفىء، وصوت صرخاته ترج الكون مفزع، لحظتها علم (آمون) أي شيء يكونه الشيطان، بدت الرحمة منزوعة من روحه وهو يصرخ فيه

: اللعنة عليك، اللعنة على كل شىء، فلتذهب للجحيم أيها القذر، مسختك بيدي ولا أحداً غيرك، كنت أرى الغضب في عينيك، اكتشفت الآن أنك أنت من مسخني بالفعل، زرعت العذاب في روحي والآن تجنيه .

كان يطفئه بيده جزءاً بجزءٍ كى لا ينتهي الألمُ سريعاً، لم يمنحه فرصةً إلا للصراخ، صرخاته ترجو موتاً رحيماً لكن هيهات، انطفأت النار في عروق أول أبناء الشيطان و بيد الشيطان نفسه .

حين مثلَت (ميركو) بين يديه لم يكن حظها أفضل من ولدها، فقد كان الشيطان ثائراً لدرجة أنها لم تجد الفرصة أن تنطق قبل أن تنطفيء، أن تذكِّره بأنها الأولى، أو أنها تعشقه . كانت ناره قادمة من أسفل سافلين، فأكلت نارَ المغضوب عليهم في ثوانٍ معدودة .

دار إلى (آمون) بعينيه بعد أن استحالا رماداً، رأى الجحيم المطل منهما خافه رغم أنه يعرف الله، ورغم أنه كان يتمنى الموت منذ لحظة .

******

مرَّت الأحداث كالحلم على كل (المصريين)، اجتروا كل ما مرّ بهم غير مصدقين، حتى أنهم تساءلوا ما بين أنفسهم، أكانت حقيقة أم خيال ؟ أين اختفى مخلِّصهم وعظيمهم ؟ تكاثرت التساؤلات وما من إجابة شافية . كل ما بقى فيهم إحساس الأمان الذي خلفه (آمون)؛ قبل أن يبتلعه قرص الشمس أمام أعينهم .

وجد (فرعون) نفسه أمام عرشه الشاغر من جديد، تحسسه حذراً، اشتاق إليه رغم أنه تخلى عنه مسبقاً عن طيب خاطر، وحين أحسه براحته عاودته رغبة اعتلائه من جديد، كان يخشى أن يعلن نفسه إلهاً مرة ثانية فلا يصدقه شعبه الذي رأى أسطورة المجنح، أو يعود (آمون) من غيبته .

عندما تجرأ وجلس عليه، نظر في الوجوه المتحفزة وأعلنها صريحة أن - المجد ل(آمون) إلهنا المعظم.-

وجد مخرجه بذلك الهتاف الذي ردده الشعب جميعه من وراءه . شقت ابتسامةٌ طريقها فوق شفاة (نف سور)، وأضاء وجهه من جديد، فإن مات (فرعون) فلتبقَ سيرة (آمون) ليحوز مكانته ككبير الكهنة، إلى الأبد .

******

التهم الجنون غالبية عقل (ساهي) المسكينة وأعياها السهر، عجز كل الأطباء الكهنة وحتى السحرة العظام، واستحال شفاؤها . أسلمت عينيها إلى قرص الشمس تتأملها من الشروق وحتى تأفل، لا تحول نظرها عنها للحظة، غير خائفةٍ من أن تسرق الشمس نور عينيها، لم يجف نهر دمعها للحظة حتى حين يخفت صوت نحيبها، ظلّت على حالها رغم بكاء (نانا) وأمها، وحين يأس (نف) من الشفاء نذرها عروساً ل(النيل)، حين علمَت بالخبر جفت دمعاتها، فقد كان ذلك أقصى أمانيها من بعد (آمون) .

******

ألقت (إيجي) بصرَها في قلب (النيل)، تأملته من حيث كان (آمون) يراه، عندما رأته بعينيه شعرت أنها تراه لأول مرة، الاعتياد يسرق ملامح الأشياء من أعيننا، وقد اعتادت أن تنصب صومعتها على ضفافه فبات غير مرئياً لها، الآن عادت الصورة ترتسم أمامها من جديد، نفس الصورة التي عشقها ولدها وحبيبها .

حدثت نفسها :

لك الحق يا (آمون) أن تعشقه، منذ أن جئت لم أعد أرى غيرك، خطفت بصري عمن سواك فصار كل الوجود متشابهاً، نسيت كل شيء من حولي ، فاق جمالُك كل ما دونه حتى أنا ..... أمك..... قد..... عشقتك .

كانت كلمة العشق تخرج من بين شفتيها غارقة في الدموع، لأول مرة تصدق خطيئتها، تلك الخطيئة التي أنهت الحكاية بأكملها، رغم أنها لم تكن هي البادئة .

: لم أتحمل اختبار ربي لي وفشلت .

أحببتك من دون وعى كما أحبك كل الذين قد رأوك، أقسم أني لم أقصد شيئاً مما جرى، لم أقصد أن أسلمك للشيطان، كيف يجوز لي وأنا أكثر من أحبك فوق هذه الأرض، إنه قلبي الذى أغواني عندما رأى (ساهي) تحضن ذراعك، ربما كانت الوحدة تخفي العشق وحين رأيتها ظهرت والتهب قلبي، الآن سأكفر عن خطيئتي وأطفيء قلبي، سأرتمي في أحضان من عشقت لربما تقابلنا ذات يوم يا ولدي،..... وحبيبي .

نزلت إلى الماء بخطوات متثاقلة، أسلمت جسدها، شعرت بذنوبها تغتسل بماء (النيل) الطاهر، فارتسمت ابتسامة رضا فوق شفتيها، مضت تشق طريقها في الماء، والماء يعلو من حولها، كأن (النيل) كان منتظراً تلك اللحظة منذ أن شُقَّت الأرض عنه .

******

ربما كانت خِلقة (إبليس) من النار هي ما أحرقت قلبه، لم يكن ذلك النوع من المخلوقات التي تشعر بذنبها، لكنه و في تلك اللحظة بالذات شعر بإحساسٍ لم يصادفه إلا مرةً واحدة من قبل .

لحظة سقوطه .

حينها شعر بأنه أذنب في حق نفسِه، والآن يشعر بالذنب مرة أخرى ولكن في حق غيره، ربما الحب الذي اكتشفه يرعى بين جنبيه بعد رحيل (ميرو)، أو بعد أن ظلمها هو لسببٍ واهٍ .

هدأت عاصفة غضبه قليلاً بعد أن أفرغها في (سيرائيل) وأمه، لكن ناره لم تزل حارقة، جلس يتأمل وجه (آمون) الجديد الذي منحه إياه ..... وجه الشيطان .

لم يكن وجه (آمون) الجديد هو ما يشعره بالذنب فقد اعتاده على كل ذكور إنما صرخات (ميرو) التي عادت من موتها، ملامحها الفزعة، التى لم تعفِها من عذابٍ امتد من مشرق الشمس وحتى مغربها، قلبه الذي تكسَّر فتاتاً بيده، والذى كان ضحية لأقرب أقربائه .

وجد نفسه ينطقها لأول مرة

: ولدي .....

تعجب (آمون) تلك الطريقة التي نطق الشيطان بها، وطريقة وصولها إليه، إنها كلمة ليست من أصل الشيطان أبداً .

= أي ولدٍ تقصد ؟ لست ولدٌ لأحد .

: كنت من لحظات سأطفيء نارك لو نطقت بمثل هذه الكلمات في وجهي، لكني الآن سأمنحك الفرصة لتثوب إلى رشدك مرة أخرى، ولتعرف أني أنا أبوك الذي منحك الحياة منذ البدء، أنت نطفتي، قبولُك أو رفضُك لن يغير من الحقيقةِ شيء .

= ربي وربك هو من منحني الحياة وهو الوحيد الذي يملك أن يستعيدها وقتما شاء، ليس لك من الأمر أي شيء .

أشاطته كلمات (آمون) حتي عادت نبرته قاسية كما هي دائماً .

: أي ربٍ هذا ؟ ربك الذي لعنني لأجل حفنة من التراب، لعنني أنا من قبَّلتُ الأرض تحت قدميه ألاف السنين، كنت أصْدَق عابديه وأورعهم، والآن أسقطني ليختبر ابن (آدم) بي، أنا مجرد اختبار، سلبني مجرد أن أحيا حياةً على هواى .

= هي إرادته فمن يراجعه فيها .

: أنا أراجعه .

= ومن تكون في ملكه كي تراجعه؟ ماذا تحيط من علمه لتراجعه؟ من أنت منه لتراجعه؟

صمت الشيطان لحظات، كان يسترجع كل ماحدث منذ البداية، وحين عاد لسانه قال :

أعلم كل ما تقوله بل وأكثر، أعرف عنه ما لا تعرفه أنت أو غيرك من (أبناء الطين)، أعلم أنه القوي والخالق والقادر، لكنه ظالم حين لم يعدل معي .

خلقنى لأعصيه وهو يعلم، قلت - لن أسجد إلا لك لأني أعرفك ولا أعرف (ابن الطين) هذا - فلعنني ومسخني، لم يُخَلِّ بينى وبين (آدم) وفتح طريق الجنة لي لأوسوس له، حمَّل أبناءَه إثم أبيهم من دون ذنب ثم نذرني إلى النهاية، هو رتب كل شيء وما على الخلق إلا تنفيذ إرادته ثم يعاقبنا بعدها . هل مازلت ترى في أيٍ من أفعاله العدل ؟

إنه يستمتع بألمي وألم المساكين من (أبناء الطين) .

= وما قد يكون عقلك لتحكم على الله ؟ عقلك القاصر الشرير الذي يهيء لك أنه قادر على استيعاب العدالة المطلقه .

: أراد كل ما جرى ويجرى ورتَّب له .

= لا يُسأل عما يفعل وكلنا مسؤلون .

: سقطْتُ لخطأٍ واحد .

= وأسقط (آدم) لخطأٍ واحد .

: لعنني حتى النهاية .

= وأنت لم تحاول أن ترفع اللعنة، لم تصحح خطأك للآن .

: حرَّم علىّ جنته .

= حرَّمها على كل الخاطئين .

: لن تدرك أيَ شيء عن ظلمه لي .

= وأي شيء لأدركه ؟

كانت إجابات (آمون) المتمردة على كل أسئلته تنفخ النار فيه وتزيده اشتعالاً، لم يتخيل أن يحمل أي من أبنائه كل هذا الإيمان، حتى أن إجابات (آمون) لم تكن إجابات بالشكل الحقيقي، لكنها كانت نوع من التسليم هو فقط من يدركه، أدرك أنه لا فائدة من الجدال مع من في مثل عقيدته .

كان يحاول حتى النهاية أن يحفظ عهده الذي قطعه بنفسه و لنفسه، لكن البركان ثارولم يتحمَّل الحجاب فاحترق .

خلع (إبليس) عنه حجابه، بدت صورته في عيني (آمون)، لم يتحملها فأغلق عينيه وأدارأسه بعيداً نحو أي جانب لا يحمل صورته الممسوخة .

لم يكن (آمون) يتخيل أن يخفى الحجاب وراءه كل ذلك القدر من البشاعة .

صرخ فيه (إبليس) :

هذا ما لن تدركه لا أنت ولا أي مخلوق آخر.

هذا أنا، هذا ما صيَّرنى عليه ربك العادل، حتى أنت ولدى لا تحتمل مجرد النظر إلىَّ رغم أنى مخلوق من مخلوقاته، أمعن في مسخي وتلذذ به إلى أن كرهت ذلك الجسد الذي حبسني فيه، هيا أدروجهك لترى فعلته بأبيك .

لم يقدر (آمون) حتى وهو يتحداه، فقد كانت الخلقة جد بشعةً لا يمكن لعينٍ أن تنفتح فيها، لتصفها .

: أهذا عدل ربك ؟ هل عاقب أي من مخلوقاته كما عاقبني أنا ؟ إذا كنت ترى فى فعلته أي قدرمن العدل فهيا اقترب وقبِّلني، قبِّل أباك يا (آمون)

صاح (آمون) مشمئزاً يلملم أنفاسه المتهدجة إثر صدمة النظرة الأولى

= ليست صورتك ما تمنعني . إنه ربي .

: ليست صورتي ؟!

(مستهزءاً)

بالفعل ليست هي، هيا قبلني يا ولدي، قبل أباك، ألم يأمركم بذلك ؟ أن أطيعوا والديكم . أعلم أنك لن تفعلها حتى و إن تبعتني وأنا أقدر هذا . هو ربك الظالم لأبيك، ربك الذي تلذذ بلعنتي، ربك الذي حافظ علي نطفتي ليعذبني بماضيَّ، بالفعل هو ربك .

= لن تدرك الحقيقة مادمت تريدها بعقلك فقط .

: وهل سيحاسبني إلا عليه ؟

= خلقه لتعرفه به لا أن تحكم عليه به . تعلمُ أنه مخلوقٌ لا يدرك المطلق لأنه لم ينكشف بعد وتصر أن تدركه به، وإلا فلتخبرني، ما هو الغضب المطلق ؟ الخير المطلق ؟ الشر المطلق ؟

خرجت كلماته كحمم بركانٍ غاضبٍ

: أنا الشر المطلق في كل الأزمان .

= صدقني لست أنت . كان يقدر أن يخلق من هو منك أشر، من لن يجادل في الأولى حتى، من لن يسجد قبل أن يعصى، و من لن يتذكره بعدها . منحك من العقاب على قدر يسر طِلبته - اسجد لآدم -أليس سهل لتتخلص من لعنتك ؟

: حفنة التراب ؟ أقسم به هو أبداً لن أفعلها .

= صدقني أنت تحمل المسخ في عقلك لا في جسدك .

غيّر (إبليس) من نبرته فبدت حانية

: (آمون) . هذا أنا أبوك . أفتح قلبى إليك أن أطعني وسأجعل الدنيا بكل ما فيها طوع أمرك، سأذكيك كما ذكى هو (آدم) .

= تفتح لي قلبك ؟! وهل تملك واحداً ؟

: وهل من مخلوق بغير القلب ؟ حتى الجبال التى قدَّت من الصخر تخشاه، أوَتخشاه بغير القلب ؟ ملكت واحداً من قبل تحجَّر حين لعني، وجئت أنت لتعيد إلى ذكرى من أشعرتني به للمرة الأولى بعد السقوط، لو كنت أعلم الغيبَ ..... .

= لو كنت تملك واحداً ما صرتُ مسخاً .

: مسختك لأنك ابني، مسختك لتشبهني .

= وهل أنا أشبهك حقاً ؟

لم يقدر (إبليس) أن يجيبه، فما من شيء يمكن أن يشبهه، كان يعلمها حتى وهو يمسخ أبناءه، لن يشبهوه حتى وإن شاء .

= ما نابني إلا الألم .

: منحتك إياه ربما كنت أحمل الغل حين فعلتها، لكن صدقني كنت لأفعلها حتى بعد أن بانت الحقيقة، كنت سأفعلها لتدرك الحقيقة .

الألم هو الترنيمة الأولى للنهاية، كنت أعتقد أني عرفت طعم الألم حين رأيت أبي ينطفي أمام عيني، لكني اكتشف الحقيقة بعدها، أحسسته أول مرة حين واجهت خِلقتي الجديدة، من وقتها وأنا أنتظر النهاية . بدَت بعيدة أول الأمر، لكنني وبعد أول إحساس بالألم أحسبها أقرب مما يتخيل الجميع، أنتظرها بين الآن والآخر، وألمي الأخير قرَّبَها أكثر وأكثر.

= إن كانت نهايتي قد بدأت فدعني لها وحسب .

قال في استسلام واضح، لم يُرعليه من قبل .

: حسناً يا ولدي . اعبد ربك كما تشاء، لن أمنعك عبادته، لكن دعني بقربك أمنحك من الدنيا قدر ما تشاء، دعني أكفِّر عن ذنبي في حق (ميرو) الوحيدة التي أحببت . زوجتي، وأمك .

كانت كلمات الشيطان تبدو صادقة ل(آمون) فقال

= ان كنت تريد أن تكفِّر عن ذنبك بالفعل في حق (ميرو) فحقق لي رغبتي .

: سل ما شئت يا ولدي .

= دعني أذوب في ماء (النيل) .

: تفضل الموت على أن أبقى جوارك ؟!

= أفضِّل الموت في أحضان من أحب، لن أقدر على العيش بدون وجهي الحقيقي .

دعني أختار نهايتي مادامت قد بدأت . أرجوك إذا كنت قد ملكت قلباً من قبل كما تقول اتركني للنهر فإننا عاشقين منذ زمن بعيد .

رغم أن (إبليس) كان محتاجاً لوجوده، لكن الإصرار المطل من عيني (آمون) أخافه أن ينهِ هو حياته بنفسه إن حرَّره، وجد أنه لا مفر من أن يلبِّي رغبته، اختار أن يفعلها له بدلاً من أن يفعلها (آمون)، على الأقل سيذكر أنه حقق شيئاً لابن (ميرو) حتى وإن كان الموت .

نادى في أبنائه بصوته الجهوري :

تجمعوا شياطين الأرض .

دوت صيحته في أرجاء الدنيا واهتزت لها الأرض، نظر إلى (آمون)

: لتكن بإرادتي يابني، ستكون نهايتك عظيمة . نهاية يستحقها ابن (ميرو) وولدي .

******

ضاقت الأرض بشياطينها، تجمَّع أبناء الشيطان في موكب لم يُشهد له مثيل من قبل، ملأ الدنيا طولها وعرضها، قاده (إبليس) بنفسه بعد أن عاد خلف حجابِه، توجه الركب المهيب إلى (النيل) .

كان (آمون) فوق محفته يبدو كملك لا يُقهر، كسيدٍ يعلو الرؤس، وحين انتصب واقفاً شهده كل من حضر، شياطين كانوا أو بشر، لمعت الشمس في عينيه، لم تخشَ مسخه، كانت لا تزال تعرفه وكان يدارى جسده عن الأعين تحت رداء أحمر ناري اللون، قيل فيما بعد أن (إبليس) خاطه

بنفسه وصبغه من جحيمه، تأمل صفحة (النيل) الرائقة فلم تعكس صورته، لكن هذه المرة احتراماً لأجمل من أطلَ في تلك الصفحة من قبل .

بدأت الشمس تنطفيء في قلب الماء رويداً رويداً، وقبل أن تغرق في أحضانه أدار (آمون) عينيه صوب السماء قائلاً

= لأجلك يا إلهي أنتهي عابداً لك، أرجو مغفرتك فاغفر لي ولأمي (إيجي) التي علمتني كيف أحبك حتى النهاية، إلهي أدرك خطيئتي، والآن أتطهر منها .

التفت إلى الماء

= لم يكن بيني وبينك أيها (النيل) إلا الجسد والآن أخلُص منه .

قفز (آمون) من فوق منصته إلى الماء حيث نقطة التقاء الشمس ب(النيل)، لحظات حتى فار الماء كأنه يتألم ل(آمون) الذي حقق أمنيته بأن يذوب في ما أحب، وأكيد كانت أمنية (النيل) أيضاً .

حين شهد (المصريون) المنظر هالهم ما رأوه، كان مشهداً عظيماً بحق، جحافل من غير الإنس بكامل لباس حربهم يسدون الأفق أمام عيونهم في مشهد هو الأول و الأخير، ومحفة ملكيّة ينزل من فوقها واحدٌ ليرتمي في قرص الشمس الغريق، لم يتساءلوا من هو فقد كانت أسطورتهم لم تزل حاضرة، ذلك المجنح الذي منحهم فرصة جديدة للحياة ثم غادر، سجد كل الوقوف على جانبي (النيل)، وصاح أحدُهم

- المجد (لآمون) إلهنا العظيم .

تبعه الشعب بأكمله، فلم تعد هناك (إيجي) لتخبرهم أنه ليس إلهاً .

أشار الشيطان إلى أبنائه فخروا سجداً، لم يشأ أحدٌ أن يكرر الخطيئة الأولى، انحنت جباههم فلم يرَ أي منهم تلك الدمعة التي تحدَّرت فوق وجنة الشيطان .

"تمت"